من تاريخ ابطال الاسلام

الخلفاء الراشدون

واشهر قوادهم في الحرب والسياسة

تأليف

زكريا احمد رشدي

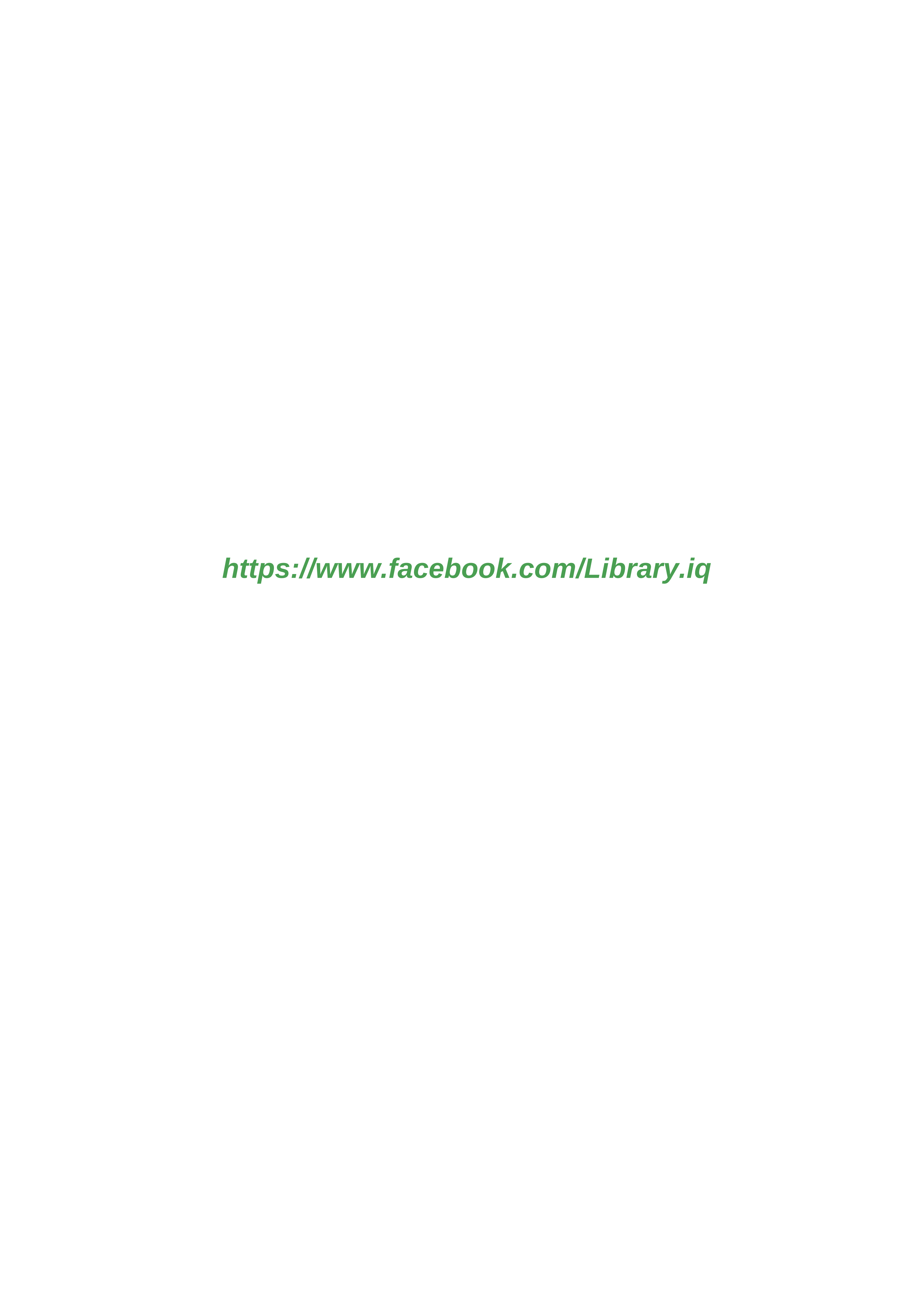
مؤلف كتب علم الاجتماع والتربية الوطنية

ومبادىء الفلسفة وغيرها

الطبعة الثالثة

١٣٥٧ هـ – ١٩٣٨ م

مطبعة آرشديات بالاسكندرية


https://www.facebook.com/Library.iq

من تاريخ ابطال الاسلام

الخلفاء الراشدون

واشهر قوادهم في الحرب والسياسة

تأليف

زكريا احمد رشدي

مؤلف كتب علم الاجتماع والتربية الوطنية
ومبادىء الفلسفة وغيرها

الطبعة الثالثة

١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

مطبعة الرشديات بالاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

فى عهد الفاروق ملك مصر المحبوب رمز التقوى والصلاح وباعث عهد الخلفاء الراشدين بسيرته الصالحة وتفقده شئون شعبه وبما جبل عليه جلالته من العطف على رعيته

فى هذا العصر الزاهر أعيد طبع هذا الكتاب وفيه صورة من صور تاريخ الخلفاء الراشدين وما كان على عهدهم من تعاون بين الحاكم والمحكوم وتساند بين ابناء الأمة جميعا يتسابقون الى المجد ويتفاضلون بالاعمال الصالحة ويتقربون الى الله بجهادهم لا يصدهم صاد عن سبيل الله والفتح الاسلامى

وتمتاز هذه الطبعة بزيادة ذكر اشهر القواد فى عهدهم وماتم على ايديهم من الفتوحات ونشر الدعوة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها حتى دانت لهم دول الأرض وهم على زهد من الدنيا وتقشف وعفة يد وعلو نفس فأن شباب المسلمين اولى من يتحلى بهذه الشيم وتلك المفاخر خصوصا فى عهد فاروق الأول الملك الصالح الذى يجدد للأسلام قوته ويجمع كلمته ادام الله ملكه وزاده توفيقا وعزا ونصرا وتأييدا ؟

المؤلف

زكريا احمد رشدى



حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح

فاروق الأول

ملك مصر والسودان وصاحب كردفان ودارفور



المؤلف

تقريظ الطبعة الثانية

بمجلة المجمع العلمي بدمشق

نشرت بمجلة المجمع العلمى العربى الجزء الثامن من المجلد التاسع بدمشق آب ١٩٢٩ الموافق صفر وربيع الأول سنة ١٣٤٨ هـ ص ٥١٢ مانصه

ابطال الاسلام

تأليف السيد زكريا احمد رشدى الطبعة الثانية١٣٤٦-١٩٢٨ للمؤلف عدة كتب فى الاجتماع والتربية وهذا فى سيرة الخلفاء الأول ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وما تخلل ايامهم من المبادىء الاجتماعية الخطيرة بعبارات منسجمة وتنسيق جميل

وحبذا لو اكمل المؤلف هذه السلسلة المفيدة للناشئين واستو فى جميع رجال الاسلام على هذا الطراز

م . ك

طبعات الكتاب

الطبعة الاولى يونيه سنة ١٩١٤

» الثانية ديسمبر » ١٩٢٧

» الثالثة مايو » ١٩٣٨



حضرة صاحب السماحة العلامة الكبير

السيد عبد الله بن محمد بن حامد السقاف

الذي تفضل سيادته بوضع خاتمة هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الثانية

هب الشرق من رقاده ، وسعى حكماؤه وأمراؤه وحكامه يقودونه الى تجديد مجده وشبابه ، والنهوض به من غفوة الماضى القريب الى مستقبل مجيد تعود فيه الى الامم الاسلامية قوتها ونضارة مدنيتها . وتظهر فيها من جديد المبادىء العمرانية القويمة التي جاء بها الرسول الامين ، تلك المبادى والتعاليم التى علت بالأمة العربية في عصرها الزاهر الى عليين .

واذا كانت الامم الغربية القابضة على ناصية المدنية في هذا العصر ترى ان من أهم الوسائل لحفظ مجدها وبقاء سلطانها وتثبيت دعائم ملكها وحضارتها تلقين الابناء والاحفاد تاريخ ابطالهم وسير عظمائهم لتسري فى نفوس الاجيال المقبلة روح البطولة وتمتزج بنفوسهم محبة العظمة والاعمال المجيدة وأخذت تلك الامم تقيم على قارعة الطرق وفى الميادين العامة النصب لهؤلاء العظماء وتشيد بأسمائهم المدارس والملاجىء والمستوصفات ليكون ذلك أدعى الى بث البطولة فى النفوس .. فهل ليس أحرى بنا وقد تقادم العهد على مدنيتنا وطوى التاريخ حضارتنا . ان نشيد بذكرى عظمائنا فننشر فى الافاق تواريخ مشاهير رجالنا لعلنا بذلك نبعث من صحف التاريخ وبطون الاجيال الغابرة روحا من العظمة والاباء تسري في نفوس أبنائنا وتسير بها فى طريق العمران

المؤدى الي عظمة الامم الاسلامية واقامة صرح مجدها وشامخ مدنيتها .؟ ؟

بلي خليق برجال الاسلام اليوم وحكامه ان يمضدوا النهضة المؤدية الي بث البطولة فى النفوس وتلقين مبادىء الاسلام الصحيحة فى رؤوس الناشئين وتقرير درس عظماء الاسلام ومشاهير رجاله في المعاهد والمدارس ، سيما وان التاريخ الاسلامى غني برجاله العظماء الذين اسسوا الدولة الاسلامية التي اظلت فروعها فارس والترك والصين والمغرب الاقصى وأوروبا والروم . فاذا ردد الغربيون ذكر عظمائهم امثال هنبال ونابليون وغيرهما فليس اقل من ان تقارن بين رجالنا ورجالهم فترى البون شاسعاً. فأين هنبال من موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، الذين اتيا من اقصى بلاد العرب الي اقصى المغرب فدوخا ممالك هنبال القديمة في افريقيا الشمالية وقطعا بجندهما القليل البالغ إثني عشر الف مقاتل مضيق سبتة الي القارة الاوروبية ففتحا مملكة الاندلس وقضيا على دولة القوط بالدمار .

واين نابليون الذى ضربت به الامثال وعده الاوروبيون من اشهر القواد في العالم لحروب طويلة اصلاهم نارها واذاقهم شدة اوارها لم تأت لدولته بفتح جديد من قتيبة بن مسلم فاتح الهند وتركستان .

أن عزة الامم وشرفها الرفيع لن تقوم لها قائمة الا اذا كانت الابناء حفيظة بتاريخ ابائها المجيد، وتاريخ بلادها واسلافها. وأن كان لامة أن تفخر بتاريخ اجدادها فليس فى صحف التاريخ الانساني ازهر صفحات من تاريخ الامة الاسلامية ، التي قام عظماؤها وخلفاؤها وقوادها بالمثل العليا في اقامة العدل والانصاف ، ورعاية الانسانية ، وحسن الكياسة ، اذا ذكرت الحرب والسياسة .

فهنالك قامت مدنية على تعاليم اجتماعية متينة واخلاق قويمة ، دعى اليها الدين الحنيف . احرى بالناشئة الاسلامية الحديثة درسه والتغذي بلبانه فهذا أصون لكرامتهم وكرامة أمتهم من الفخار بما للغرب من مدنية وآثار

وهذه الطبعة الثانية من كتاب (ابطال الاسلام فى الحرب والسياسة) اقدمها لجميع الامم الاسلامية وقد دب الشغف بالعلياء فى الصغير والكبير وبدأت ملوك المسلمين تعمل بالحزم في الامور لرفعة اممها ولتنقذ البلاد الاسلامية من مواطن الضعف وشباك الاستعباد .

ولعمري ليس من دافع يدفعنا الى مانريد من حرية حقة وحياة جديدة اقوي من درس تاريخ الحرية ومؤسسي الحياة الاستقلالية قبل ان تعلن في فرنسا الجمهورية وتقرر حقوق الانسان ؟

المؤلف

زكريا احمد رشدي

٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧

مقدمة
الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

تتطور الامم والشعوب ، وتتغير أحوالها وتتقلب شؤونها فيعلو بعضها افق السعادة ويتدهور البعض الى الحضيض الاسفل .

أن الامم تسعد وتشقى كالافراد فأذا ماسعدت الامة أرسل لها من بنيها الاذكياء من يبعث فيها روح الحياه فيحرك ساكنها ويلين جامدها ويحشر من الموتي احياء ليقودهم الي العمل فلا يلبث الشعب حتي تراه شعباً راقياً ، واذا ماشقيت الامة تسرب بين افرادها الجبن وامتزج بدمهم الكسل فلا يخطر ببالهم الوطن ولا يفكرون في إنتشاله من وهدة الانحطاط ، بل يستسلمون للطوارىء والنوازل حتي تنخر قواه

من ذلك يعلم أن سر رفعة الامم وتقدمها خطوات في سبيل الحياة والرقي هم إفرادها العاملون الذين يقفون حياتهم لخدمة أوطانهم والذين يجاهدون في سبيل سعادتها والذين يحدثون الانقلابات التى يسطرها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب ويتلوها على الامم جيلا بعد جيل تخليداً لاسمائهم وتعظيما لذكرياتهم .

تري الفذ من أولئك الافراد لا يعرف المستحيل ولا يتصور شيئاً بعيداً عن إرادته ويرى أن الدنيا بحذافيرها تنقاد لمن إرادأن ينال السعادة التى يعلم انها حق طبعى من حقوق الحياة .

أولئك الافذاذ هم الابطال الذين يهبون أمتهم السيادة ويبعثون بطواتهم مافي القبور من عزة وعلياء فينشرون العلوم والمعارف ويقومون الاخلاق ويصلحون مافسد من العادات ويحاربون جراثيم الفساد ويقطعون دابر الخمول وحين ذاك تقوى دولة العلم على دولة الجهل وتنصر الاخلاق العالية على الجمود فتقوى الامة ويشتد ساعدها وتخرج من أبنائها الغزاة الفاتحين فيملكون ماشاؤوا من البلدان وينشرون نفوذهم شرقا وغربا أولئك هم الابطال الذين يرفعون ذكر أممهم وشعوبهم ويبيضون صفحات تاريخه، يتلو علينا التاريخ قصص أولئك الابطال وأعمالهم وما أوتوا من الذكاء والفطنة وما نالوا من عز ومجد فنتشبع بمبادئهم ونكتسب من آرائهم.. وإنه لتبث في الارواح البطولة ولتطمح الانفس الى الضرب فى درب أولئك الابطال والاقدام الى جلائل الاعمال.

انا لنسرد على القراء فى هذا الكتاب تاريخ أبطال الاسلام وحسب القارىء ما جرى على أيديهم من الاعمال التى خلدت لهم ذكرى مكللة بالاعجاب ومقرونة بالفخر حتى تشرئب نفوس أهل الغيرة إلى اقتفاء أثرهم والسعى وراء البطولة فيعملون على مكانتهم ويكتسبون من هذا المدرس الكبير والاستاذ العظيم (التاريخ) تجارب طالما أتعبت الاولين وآلمت حواسهم حتى وصلوا اليها وعفات من هذه الذكريات تتخرج منها أشعة تتسلط على القلوب فتوحى الى ذويها أن أسعوا الى تخليد ذكرى لكم قبل أن يأتي أحدكم يوم تسكت فيه أنفاسه وتخمد حواسه ويمحى أثره وكأنه لم تشرق عليه شمس

إلا أن البطولة من الغايات التي يجب على كل ذي شعور راق ونفس عاليه ووجدان حى أن تصبوا اليها نفسه ويسلك سبل الابطال ليخدم امته

وقوميته ، وما البطولة الا انتهاز الفرص للعمل وشغل اللحظات بما يفيد وصرف العمر في خدمة الهيئة الاجتماعية . وما الابطال إلا من البشر تحصنوا بالعزم القوي وعلموا أن الحياة الخالية من الاخطار موت وأن الوقت الذى يمضي دون اكتساب فخر ليس من أجل صاحبه .

الا فهاهو تاريخ أبطال الاسلام يتلو من آيات البطوله ما يدهش العقول ويبث فى النفوس روح الشهامة . وضعته لقراء اللغة العربية خدمة للتاريخ نسأل الله أن يلهم الشرقيين رشداً ويمنحهم روحاً متقدة

ويحيون مجد الشرق بعد وفاته فيغدو عليا زهره يترعرع

المؤلف

زكريا أحمد رشدي

يونيه سنة ١٩١٤

حالة العالم الانسانى

قبل ظهور الاسلام

كيف ظهر الاسلام فجأة في القرن السادس ميلادى ؟ وهل كانت هناك حاجة الى الدين الذي بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ سؤال هام يجول في خواطر عشاق الحقائق التاريخية والعاملين علي درس الانقلابات الاجتماعية لذلك أري بسط الاجابة عن هذا السؤال قبل البدء في تاريخ ابطال الاسلام ولم تكن الاجابة التى أبسطها إلا إجابة علامة فرنسي من منصفى المستشرقين بحث بها هذا الموضوع وأجاب عنه بجرأة العليم الواثق من الحقائق .

قال ذلك العلامة (جول لا بوم) فى مقدمته لترجمة القرآن الحكيم الى الفرنسية

حوالي ميلاد (محمد عليه الصلاة والسلام) في القرن السادس ميلادى كان جو العالم ملبداً بغيوم الاضطرابات فكان

١ — في شعب الوزيغو (الآريين) في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يحاربون الملك كلاميس وأولاده الكاثوليكيين وكانوا يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية

٢ — وفي فرنسا كان أولاد (كلومنيس) فى شقاق متشافكين وكانت الحرب التي شبت نيرانها بين المملكة الوزيغونية (برنهو) والمملكة (فريد يجوز) تهيء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للاسي والكمد

٣ — وفى انجلترا كان الحرب سجال بين الانجلو والسكسون

٤ — وفي ايطاليا فقد اسم الرومان خطورته القديمة وكانت رومة هي البقية الاخيرة أو رأس ذلك الـتمثال المهشم (مملكة الرومان) وهي

فى حالة تململ ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة

٥ — واليونان كانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية وكان شرق أوروبا مقلقاً جنوبها من أول مصب نهر الران من جهة الغرب لغاية مصب نهر الدانوب

٦ — لم تكن آسيا أهدأ بالا من أوربا فقد كانت بلاد التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة فى أوربا للآن قرائحها وأفكارها العامة ولغاتها السياسية والفلسفية كانت متمزقة الاحشاء بالحروب الداخلية

٧ — مملكة الفرس كانت دائماً فى حروب مع اليونان والرومان لارتباطها بالغرب منذ عهد الاسكندر المكدوني

٨ كان شمال افريقيا فريسة لاخلاط من عساكر الرومان واليونانيين وبعض التجار وجماعة الحكام الذين نزحوا اليها من جهات مختلفة وكلهم يعمل علي امتصاص خيراتها ينزلون بأهلها كل ظلم واعتساف .

ومع هذا كله كانت هناك ناحية من أركان الارض لم تصبها نقمة من هذه الحركة لموقعها الجغرافي البعيد ذلك الركن هي شبه جزيرة العرب .

من هذا ترى أن العالم الانساني كان ملبد السحب بالاضطرابات والحروب والنزعات الوحشية فى كل جهة وكان اتحاد الناس علي وسائل الشر أكثر من اتحادهم علي وسائل الخير . وهو بهذه الحالة فى حاجة الى حادث جلل يزعج الناس عن مظالمهم واضطرابهم ويضطرهم الي النظر والتفكير في أمر الخروج من المأزق الذى تورطوا فيه

فجاء الاسلام وأحدث هذه النتيجة المطلوبة بما أقام من الدول

وأسقط من ممالك وأصل من أصول وهدم من تقاليد فزعزع أركان دولتي الرومان والفرس وهما دولتا العالم اذ ذاك واستتبع تزعزعهما ضعف سري في جميع الشعوب القلقة المتعطشة للحياة الهادئة التي اطمأنت لها في تعاليم الدين الاسلامى فتخلصت من نير استعبادهما وكانت الرسالة المحمدية هى النور الآلهى الذي بدد ظلمات الاستعباد من الشعوب وانقذ الانسانية من ظلم الجاهلية الاولي وفي ذلك نزلت الآية الحكيمة (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

المبادئ

الاجتماعية الخطيرة

التي قامت عليها الدول الاسلامية

بقي علينا بعد أن ظهرت لنا حقيقة العالم الانساني ابان ظهور الرسالة المحمدية أن نستقريء تعاليم هذه الرسالة والمبادىء التي ناهضت ظلمات الاستعباد وكسرت قيود الاسترقاق واطلقت الانسانية من ظلمات الهمجية الاولى

والمطلع علي التاريخ القديم للشعوب الانسانية يري ظاهرة غريبة فى كل عصر من عصورها المختلفة . وهذه الظاهرة بارزة فى عدم المساواة بين أفراد الامة وتقسيمها إلى أشراف ورعاع وكهنة وحكام وتأليه بعض الناس على بعض واحتكار العلم والدين لطائفة دون أخري

وكانت هذه الظاهرة داعية الى بذر بذور النفور والشقاق بين طبقات الامة الواحدة والشعب الواحد وناهيك ما وراء تمليك السيادة لطائفة ووضع الطوائف الاخري موضع الذلة والاسترقاق :

فلما جاء الاسلام هدم كل هذه التقاليد ونبه العقل الانساني الي حقائق الوجود ونزع مافي النفوس من أوهام وبث فى الناس المباديء القويمة التى تقوم بالجماعات الانسانية الي سبل الرقي والطمأنينة وتنحصر هذه التعاليم فيما يأتي : —

١ — التخليص بين الانسان وخالقه . فقال تعالي « وإذا سألك

عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي

٢ ـ المساواة العامة بين جميع الناس لانهم من أب واحد وام واحدة قال تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم »

٣ ـ تقدير الحكومة الشورية مبدأ للحكم بين الناس . فقال جل شأنه « وأمرهم شوري بينهم » وفى الحديث الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله وللمؤمنين عامتهم وخاصتهم . ويدخل فى ذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . مما يحرض المسلم على مراقبة الحكومة وحق مناقشة أولي الامر

٤ ـ الاعتراف بحقوق العقل وحرية الفكر قال تعالى عن لسان الكافرين « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » وقال « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وفي الحديث « الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له » والآية « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »

٥ ـ المؤاخاة بين الدين والمدنية قال تعالي « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقال « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة » « وقيل للذين آمنوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين »

٦ ـ وجوب طلب العلم والازدياد منه . « وقل رب زدني علما

والحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

٧ ـ الدين شرع للناس ليطهر الناس من الشهوات البهيمية ويطلق لهم في ما عدا ذلك الحرية قال تعالى « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم »

٨ ـ الاعتماد على النظر في السماء والارض والنفس والكائنات لاستنباط العلوم والمعارف والوقوف على سنة الله في خلقه فقال تعالى (انظروا ماذا في السموات والارض.) وقال (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقال « إفلا ينظرون الي الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت» الخ

٩ ـ توحيد العالم في دائرة المعاملات ومنع الفوارق الجنسية فقال تعالي (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) وقال نزعا لروح التحزب والتعصب (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

١٠ ـ السعادة الاخروية : متوقفة على عمل الانسان . قال تعالى (لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ـ كل نفس بما كسبت رهينة)

هذه هي المبادىء القويمة التي قامت عليها الدولة الاسلامية والتى جاء بها دين الرسول الامين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فهل الامم الاسلامية اليوم تقوم بهذه التعاليم ؟؟ ومتى يتمكن حكام المسلمين وأمرائهم وملوكهم من اعادة الامة الي دينها لتحتضن تلك المبادى السليمة وليحفظ المسلمون مركزاً عالياً بين أمم العالم المتحضر !!.

ابو بكر الصديق

ما أحوج الاغنياء وذوي الرأى فى الامم الاسلامية من العلماء والامراء والحكام الي تحليل نفسية (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه ، واتخاذه مثلا أعلا يحتذون به اذا ضل بهم الرأي او تنكبت بهم المسالك عن طريق الهدي. أو إذا تعارضت عندهم المصلحة الشخصية مع المصلحة العامة . . . فقد كانت له إرادة حديدية وروحا جبارة في التضحية لا تلين قناتها ولا تنهزم قوتها اذا شاء كان ما شاء . لا يرحم المترددين والمتخلفين عن طاعة الرأى المشروع . أقول ما أحوج الامم الاسلامية ودعاة الاصلاح فيها الى درس نفسية ابي بكر وأخلاقه وأحواله ففيها رسم خطط العمل المنتج لانقاذها مما تورطت فيه من التهاون والانحطاط.

والى جمهور المسلمين نسطر ما حفظه التاريخ لاول خليفة في الاسلام.

حاله فى الجاهلية

(اسمه) ـ كان اسمه فى الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وسمى صديقاً لانه بادر الى تصديق الرسول الامين

(شرفه) ـ ينسب أبو بكر الى (تيم) وهذا الرهط ممن انتهى اليهم الشرف فى قريش وكانت اليه تنتهى الاشنان وهى الديات فكان

اذا احتمل أمراً فسأل فيــه قريشاً صدقوه وامضوا حمالة من نهض معه . وان احتملها غيره خذلوه

(صناعته)ـ كان أشراف قريش مع ما لهم من علو المكانة بين قومهم وهم حراس الكعبة وحماة البيت وضريح اسماعيل لا يرون الاتكال على فضلات العجز والاعتماد علي تراث الاباء فكانت لكل رجل منهم صناعة يحترف بها فكانوا يعيشون من كسبهم وكان أبو بكر من هؤلاء الاشراف الذين يرون العــار والمذلة في الانصراف عن العمــل اعتماداً علي ما ورثوا فكان بزازاً وله رأس مال كبير للتجارة قيل أنه كان يبلغ اربعين الف درهم انفق منهــا خمسة وثلاثين الف معونة للدعاية الاسلامية وفى سبيل مصلحة المسلمين وما بقي ما زال يتجر به حتى وافاه الاجل .

(مكانته عند قومه) ـ كانت له شخصية بارزة محترما بين قومــه معروفا بينهم بجليل الشيم وقال فيه ابن الدغنة يوما (انك تصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين علي نوائب الدهر . وتقري الضيف) وكان رغابا عن الدنايا عفيف النفس حرم علي نفسه شرب الخمر فى الجاهلية

اسلامه وصحبته

ان لجوهر النفس ونقاء معدن الانسان دخــل في اتجــاه نزعاته الي الخير أو الشر فكلما كان صافي الجوهر سليم الفطرة طاهر النفس كان سريع التأثر بالدعوة الصالحة منقاداً اليها . وكان هــذا حال ابي

بكر رضي الله عنه حين دعى الى الاسلام فكان أول من أسلم من الرجال لانه لم تألفه شوائب العناد فأسلم وطلق الاوثان ورضي الاسلام دينا وعاهد الرسول الامين علي مظاهرته ومناصرته فكان وفيا بعهده

وكان لاسلامه صدي في نوادي عظماء قريش فأسلم علي يديه كثيرون منهم عثمان بن عفان وسعيد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله .

المال والنفس ـ وقد ضرب ابو بكر لمن يأتي بعده من القرون خير مثل للتضحية في سبيل الفكرة الصالحة والمبدأ وفتح طريق القدوة الحسنة للزعماء والعظماء ليقتدى بهم الاتباع .

نزل أبو بكر الصديق عن ماله للمسلمين . فكان يشترى المعذبين لاسلامهم وينقذهم من الآلام وكان يعتق على الاسلام النساء العجائز لا يريد الا الله ونصرة الدين .وكان بهذا العمل اول من فتح باب التضحية وانكار الذات في سبيل الله ونصرة دينه . لسان حاله أسرع من مقاله . هذا شأنه في ماله

أما نفسه فقد وضعها في كفه ولازم الرسول عليه الصلاة والسلام في مواقفه وحروبه ليحميه بنفسه من الاعداء وفي يوم بدر اقام الصحابة للنبي عليه السلام عريشا وقالوا من يكن مع رسول الله لئلا يهوي اليه أحد من المشركين فما دنا منهم أحد الا ابا بكر وكان بينهم علي بن ابي طالب وغيره من شجعان المسلمين ـ وتقدم ابو بكر شاهرا السيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي اليه أحد الا هوي اليه وبذلك ـ قدم نفسة وماله

خلافة أبي بكر

لم تكن الخلافة في الاسلام وراثية لانفصالها عن النبوة التي انتهت بوفاة النبي ﷺ . لانه بلغ رسالة ربه وبين الاحكام الي الامة ولم تكن للخلافة من بعده الا حماية الشريعة وأقامة العدل بين الناس بما أنزل الله في كتابه . واشترط جمهور المسلمين فى الخليفة الحرية والعقل والعدالة والعلم ولم يشترط اتصال الانساب بصاحب النبوة

ولما توفى النبي ﷺ كان ابو بكر غائباً فى أهله فلما أتاه منعاه أقبل على الناس فوجدهم في اختباط عظيم وصار المسلمين كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية فمنهم المصدق ومنهم المكذب . فمن قائل لو لو كان نبياً ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته ومنهم من قال نؤمن بالله ونصلي ولا ندفع زكاة الى غير ذلك من الاضطراب الذى أصاب العرب بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام .

ولكن رباطة جأش أبي بكر كانت هى البلسم لهذه الاضطرابات فدخل على النبي ﷺ فكشف عن وجهه وقبله . وقال (بأبي أنت وأمى قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موتة أبداً) ثم خرج الى الناس فحمد الله واثني عليه وقال

(أيها الناس من كان يعبد محمداً فأن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فأن الله حى لا يموت) . ثم تلا قوله تعالي (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية .

فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية فى القرآن لما إصابهم من الدهشة بوفاة النبي ﷺ . أما عمر فوقع فى الارض مغشياً عليه حين

سمع أبا بكر يتلو هذه الآية

وبينما الناس في شغل بوفاة النبي ﷺ وتجهيزه ودفنه جاء مخبر فأخبر هم باجتماع الانصار فى سقيفة بني ساعدة للنظر فى شأن الخلافة ، فأسرع اليهم ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين ليتداركوا الامر قبل افتراق الكلمة . فأتوا الانصار وقد اجتمعوا يبايعون سعد بن عبادة فوقف أبو بكر موقفاً حازماً وتكلم ومما قال يومئذ

(يا معشر الانصار انكم لا تذكرون فضلا الا وأنتم له أهل وأن العرب لاتعرف هذا الامر الا لقريش هم اوسط العرب داراً ونسباً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة الجراح فكثر اللغط بين الانصار وقال قائلهم منا أمير ومنكم أمير وبرز عمر بن الخطاب حين رأى من بعض المهاجرين موافقته علي أن تكون الخلافة فى قريش وخشى من تأجيل النظر فيها فقام الى ابي بكر وقال ابسط يدك أبايعك فبسط يده فسبقه بشير وبايعه ثم بايعه عمر وسائر الناس

وقد استقرت بذلك الخلافة لابي بكر وذلك فى سنة ١١ هجرية فصعد علي المنبر وقال ، بعد أن حمد الله وأثني عليه .

ايها الناس وليت امركم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق والضعيف منكم قوي حتي آخذ له الحق ان شاء الله تعالي

لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم ألا ضربهم الله بالذل

اطيعوني ما أطعت الله ورسوله واذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله)

أثر خطبته في سياسة حكومته

لقد كانت تلك الخطابة الكبيرة المعنى اساً صالحاً قام عليه بناء الحكومة في الاسلام فكان صريحاً فى أنه تولى أمرهم بمبايعتهم له ورضائهم عنه واقرار زعمائهم على تسلمه زمام الامور . وانه بهذه الثقة الغالية وهذا الاختيار لا يعتقد في نفسه العصمة والبعد عن الخطأ فهو كاحدهم يرجو منهم المعونة ان أحسن التصرف والنصيحة ان اخطأ . فأحس الجمهور بذلك انه صاحب الامر والنهي وان كرامته في معونة الخليفة على الصواب والحرص على نصيحته ان عدل عن جادة الحق فلم يقصروا فى مناقشته ومواجهته بالحقائق بينهم كتاب الله وسنة رسوله يحتكمون اليهما ان اختلف الرأي بينهم . ثم نبه الامة منذ الساعة الاولي ان عزها مقرون بمداومة الجهاد وان الذل واقع عليهم ان أهملوه وكانت هذه الصرخة لا لقومه فقط بل للاجيال التي تعاقبت . فكان الاسلام عزيز الجانب ما قام المسلمون بالجهاد وانحطت الشعوب الاسلامية الى درك المذلة والاسترقاق باعراضهم عن الجهاد .

وقد آن للمسلمين أن يجاهدوا فى الله حق جهاده كما أمرهم الله في محكم كتابه ليهديهم سواء السبيل حيث قال (والذين جاهدوا فينا

لتهدينهم سبلنا) سبل النجاح والخلاص مما تورط فيه المسلمون والجهاد في الدين اعلان احكام الله ونشر شريعته السمحاء وتبليغ رسالة النبي عليه الصلاة والسلام .

حزمه في سياسته

لقد كان للمؤمنين في ابي بكر خير منقذ من الارتباكات وانحلال عرا القوة والمكانة الشديدة التى بلغها المسلمون بالرسول الامين . فأنه لم ينتشر نعيه عليه الصلاة والسلام في الافاق حتى ظهر النفاق وأشرأبت اعناق الامم المجاورة .

ولكن ماذا فعل أبو بكر.؟ قام وأمر أسامة بن زيد بالمسير بجيشه الذى كان النبي ﷺ أعده قبل وفاته لبعثه الي الشام وتأخر بسبب مرضه ووفاته عليه السلام ولم يسمع أبو بكر قول الناصحين ان العرب اضطرب حبل طاعتهم والجيش يكبح جماح المترددين والعاصين وقال والذي نفسي بيده لو ظننت ان السباع تتخطفني لانفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد خرج جيش أسامة الى معسكره وقد أراد بعض الانصار ان يولي عليهم الخليفة أكبرهم سناً فخرج اليهم أبو بكر وقال ان التفاضل بين المسلمين انما بالتقوى ثم أشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب . فقال له أسامة ياخليفة رسول الله لتركبن او لأنزلن فقال والله لانزلت ولا اركبت وما على ان أغبر قدمى ساعة في سبيل الله . فلم يسع الانصار الا السكوت بعد رأوا الخليفة يسير ماشياً في ركاب

أسامة . وساروا صحبة أسامة وابدوا من الطاعة والاخلاص ما مكن للمسلمين كلمتهم ورفع لواء الحق عالياً .

ولما أراد الرجوع قال لاسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فأذن له . فبهذا التصرف أدب الخليفة جيشه وعلمه الطاعة لقائده وبهذا امكن لهم الفوز وأعدهم للنضال عن الحق .

أهل الردة

وبينما ابو بكر يفكر فى أمر الذين ارتدوا من العرب وهو يطاول فى الامر انتظارا لرجوع أسامة بجيش المسلمين أعجلته عبس وغطفان واسد وطيء وكان بعضهم نازلا بذي القصة وبعضهم بالابرق فارسلوا اليه وفداً يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فردهم خائبين فرجعوا واخبروا القوم بقلة المسلمين وضعفهم وقد اعماهم الجهل وغرتهم كثرتهم ونسوا ان في المسلمين قوة الايمان واليقين وفيهم من الصيد والصناديد مثل عمر وعلى وطلحه والزبير .

وقد ادرك ابو بكر بعد مسير الوفد ان العدو قد يهاجمهم ليلا أو نهاراً على غرة فجعل علي انصار المدينة علياً وطلحة والزبير فما لبثوا ثلاثا حتي طرق العدو المدينة ليلا فرد المسلمون العدو ولم يصرع احد منهم .

ثم خرج ابو بكر ليلا على كعبيه فما طلع الفجر الا وهم والعدو علي صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فولوا الادبار وأتبعهم ابو بكر حتي نزل بذي القصة وكان أول الفتح ووضع

فيها النعمان بن مقرن ثم عاد الى المدينة وقدم في اثناء ذلك أسامة ابن زيد بجيش المسلمين فاستخلفه ابو بكر على المدينة ثم نظر الى المرتدين فجهز جيوشاً عدة لمحاربة أهل الردة على كل جيش امير من أمراء العرب وقد كانوا نحوا من احد عشر جيشاً . كان لكل جيش نصر من الله وفتح عجيب يضيق المقام عن شرح تفاصيلها التي يستنتج منها مايأتي :

(١) — ان المرتدين منهم من توقف عن أداء الزكاة فقط وهم عامة العرب ومنهم من ارتد فعلا وهم بعض القبائل .

(٢) — ظهور دعوى النبوة بين العرب حتى ادعاها اربعة من العرب وامرأة .

(٣) — انقسام معظم العرب فى حروب الردة منهم للأسلام وبعضهم عليه .

(٤) — سرعة التوفيق في انهاء حروب الردة .

الفتح الاسلامى

نرى فى توجيه ابي بكر للعرب الى الفتح ونشر كلمة الله في الاقطار حكمة اجتماعية وسياسية عليا اذ صرفهم بذلك عن العداوة والحروب الداخلية وأبعدهم عن الدس والفتنة وسيرهم مع الجيوش الذاهبة الى الله تحمل لفريق أهل الكتاب لواء الاسلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) ولفريق الصابئة وغيرهم من المشركين (الاسلام أو الجزية أو السيف) فلم تكن الدعوة الاسلامية قائمة على التعصب الديني وأكراه الامم

على الاسلام بل تركت لهم الحرية وقبلت ممن بقى على دينه الجزية ضريبة ليحفظ له ماله وولده وحرمته كما تأخذ الامم المتحضرة الآن الضرائب لتقيم العدل بين الناس .

. هذه هي قاعدة الفتح الاسلامى فما لبثت جيوش المسلمين تسير فى الاقطار والامصار حتي هرعت اليهم الامم تقبل الدخول فى حماية المسلمين هربا من المظالم التي أنزلتها بهم حكومات الاستبداد والارهاق الذي ظلت فيه قرونا طويلة . فحضر المسلمون الامصار وعمروا المسالك وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون القسطاس ويأخذون على يد الظالم حتى يخذي .

فبلغت الامة الاسلامية بمبادىء العدل والانصاف فى ربع قرن مالم تبلغه القوة الغشوم قوة الجيوش والاساطيل في قرون عدة . ولن يذكر فى صفحات التاريخ انصع بياضاً من تلك الصحف التى سطرها المسلمون فى فتوحاتهم من رعاية الامم الضعيفة وأخذها بالرفق والاناة .

اصبح العرب بتوجيههم الى الفتح والدعوة الى كلمة الحق من قادة السياسة والحرب وأفضل من ساس الامم فبات المغلوبون لهم . الخاضعون لسلطانهم من الروم احرص الناس علي حكمهم وأرغبهم فى شرعهم . ولم يكن ذلك الا دليلا علي أن الفتح الاسلامى كان انقاذا للامم من ظلم الاستعباد الى قضاء الحرية والعدالة .

فتوحات ابى بكر

هذه كلمة ساقها اليراع فى الفتح الاسلامى الذى بديء فى عهد خليفة رسول الله ابي بكر الصديق الذي رأيت حزمه وكياسته وأخلاصه ووطنيته ففتح العراق الذى كان تحت أمرة الفرس الدولة القوية ذات السلطان وقد أنجز الله وعده (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) ثم انصرفت همته الي الشام التي كانت تابعة لمملكة الروم وهى بلاد عربية ضربت عليها سيادة الروم فكان فتحها أمرا لامندوحة عنه لتحكم بأهلها و تتخلص من العدو الغاصب

فأرسل أول لواء عقده الي الشام لواء خالد بن سعيد بن العاص فى أوائل سنة ثلاث عشرة بعد عوده من الحج ثم ارسل فى أثره يزيد بن ابي سفيان وأوصاه وصية غاية فى الحكمة السياسية .. ثم ارسل غيره من امراء المسلمين ليعاونه فاجتمع الامراء في اليرموك ووفد خالد بن الوليد ثم دبروا أمرهم ورسموا خطط السير ودخلوا الشام معلنين الحرب علي الروم في قعر دارهم وقد أبلي المسلمون بلاء حسنا والنساء المسلمات يشدون عزائم الرجال ويواسينهم بأنفسهن في ساحات القتال حتي بلغن من كيد العدو مالم تبلغه منه السيوف وقمن بخدمة الاسلام كما قام رجالهن الذين أوردوا الروم موارد الحتوف .

وبينما المسلمون في يوم الفصل من هذه الحروب قدم البريد من المدينة واسمه محمد بن زنيم فسألوه الخبر فأخبرهم بسلامة وأمداد

وانما جاء بموت أبي بكر فكتم هذا الخبر عن المسلمين ريثما تضع الحرب أوزارها وتولي الروم أدبارها . وعلى ذلك لم يتم فتح البلاد الشامية في عهد ابي بكر وانما تم في زمن عمر بن الخطاب . وكان لابي بكر فضل بدء الفتوح الاسلامية ورسم سنن العدالة والوصايا الحكيمة .

سياسة
فى الخلافة والرعية

لن ينسى التاريخ لابي بكر موقفه الحازم يوم ان نعى النعاه رسول الله بين المؤمنين فاضطربت نفوسهم وعلا الهرج وبرزت الفتنة من مرقدها فصد ابو بكر ما خالج النفوس من اليأس وما ساور المنافقين من اهل الردة وزحزحة ماثبته سيد المرسلين ثم سار بعد ذلك سيرة الرشد فكان أول الخلفاء الراشدين .

ولقد كان في ملاينته وسياسته للذين توقفوا عن بيعته أعظم الاثر اذ أزال من نفوسهم بالحجة والبرهان واللين ماحبب قلوبهم اليه ولم يلجأ للعسف والشدة معهم فكانت بصيرة له نافذة وعزيمة قوية حادثة بددت غيوم الفتن .

وناهيك بعظيم سياسته وثاقب رأيه ووصاياه للقواد والامراء بالرفق واللين بالامم المغلوبة حتى لاتمس الانسانية ولا يخدش وجه العمران وكان

ذلك من اكبر دواعى انتشار الاسلام على وجه البسيطة والاخذ بمجامع قلوب الشعوب التى أنضوت تحت لوائه وكانوا من أنصاره واوليائه .

بعكس ما كانت عليه جند الفرس والروم اذ غلبوا امة عتوا فيها عتواً كبيراً وأباحوا الاموال والانفس والشهوات كما هو حال الامم الغربية حين غلبت المسلمين بالاندلس او تونس والجزائر أو طرابلس أو الهند او جزائر جاوه وما جاورها . فليست هذه أثار المدنية التى يدعون أنهم رفعوا لواءها . بل هى أثار الوحشية والقرون الاولى . انى جاء الاسلام لينشر على العالم السلام منها ويكون للانسانية نصيرا . ولم يفعل غير ذلك ابو بكر وقواده .

هذه سياسته فى خلافته اما سياسته فى الرعية فكانت شدة في غير عنف ولين من غير ضعف بطيء العقوبة غير متعجل فيها الا بقصاص واجب وكان كثيراً مايحذر الرعية من الدخول فى غمار الفتن التي تسفك فيها دماء المسلمين ويحملهم على التعفف عن المغانم والقناعة بالكفاف خشية ان تحيا فيهم غريزة الطمع فيميلون الى الترف والنعيم اللذين يقعدان بهم عن متابعة الجهاد ويشلانهم عن بث الدعوة بين العباد .

أدبه وتأديبه

أخرج ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنا اكبر أو أنت قال أنت اكبر واكرم وأنا اسن منك .

وكان اذا جاءه مادح قال اللهم أنت اعلم مني بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون .

وقد مر أبو بكر رضي الله عنه بعبد الرحمن بن عوف وهو ينازع جاراً له فقال لا تنازع جارك فأنه يبقى ويذهب الناس .

هذا أبو بكر أول خليفة للمسلمين كان ديموقراطيا بالمعنى الذي يفهمه الساسة الاوربيون ليس له خدم ولا حجاب يخالط الناس ويناءحهم ويحادثهم ولو كانت الخلافة الاستواء علي العرش من وراء السجف لما قامت للمسلمين قائمة ولما انتشر الاسلام في الشرق والغرب وهـا نحن نري الملوك والسلاطين الذين ترفعوا عن الناس وحاولوا دون الاختلاط بالرعيه تحوطهم الفتن والدسائس وتلعب بطاناتهم بالنار من حولهم وهم لا يشعرون

مرض أبي بكر

فوجىء ابو بكر رضي الله عنه بحمى لم تمهله حتى قعدت به عن مزاولة الخلافة فقعدت عائشة عند رأسه يوما وهو فى مرضه وقالت شعراً

وكل ذي أبل موروث وكل ذي سلب مسلوب

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

ففهم ابو بكر ما أرادت وقال ليس كذلك يا ابنتاه ولكنه كما قال الله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

ولما ثقل على ابي بكر المرض دخلت عليه عائشة فقالت

« يا أبت أعهد الى حامتك وانفذ رأيك فى عامتك وانقل من جهازك الى دار مقامك انك محصور متصل بقلبي لوعتك وأري تخاذل

أطرافك وامتقاع لونك والي الله تعزيتى عنك ولديه ثواب حزني عليك ارفأ فلا أرفأ وابل فلا ابقى . فرفع رأسه اليها وقال « هذا يوم يجلى لي عن غطائى وأشاهد جزائى . ان فرحا فدائم . وان ترحا فمقيم . اني أطعت امانة هؤلاء القوم حين النكوص اضاعة . والخذل تفريطا . فشهيدى الله ما كان يقيلني أياه فتعاقت بصحفهم . وتعللت بدرة لفحتهم فأقمت صلاتي . معهم لا مختالا إشراً . ولا متكاثراً بطراً . لم أعد سد الجوعة وورى العوره وقواتة القوام . حاضرى الله من طوى ممعض تهفو منه الاحشاء . وتجف له الامعاء . فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض المعيف الآجن فاذا أنا مت فردى اليهم صحفهم وعبدهم ولفحتهم ورحاهم ودثارة ما فوقي اتقيت بها أذى البرد ودثارة ما تحتي اتقيت بها نز الارض كان حشوها قطع السعف المشع)

استخلافه عمر ووصفه له

اشتد على أبي بكر المرض ووصى ابنته برد مال المسلمين للمسلمين حتى الدثارة التي اتقى بها أذي البرد والدثارة التي اتقى بها نز الارض وكان حشوها قطع السعف ثم لم يشغله الاستعداد للقاء الله عن أمر المسلمين وخشي أن هو مات ولم يعهد بالخلافة لاحد ان تكون فتنة تضطرب لها الدهماء . فأخذ فى استشارة الصحابة فيمن يوليه أمرهم واحداً بعد واحد ممن يعهد فيهم الحكمة وبعد النظر فأشاروا عليه بعمر . وقد عزم هو ان يعهد اليه بالامر ولكنه أراد الاستشارة لقطع دابر الفتنة التي يخشاها

ودخل عليه بعض الصحابة فقال قائل منهم ما أنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد نري غلظته فقال ابو بكر بالله تخوفني ؟ اللهم أني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ماقلت من ورائك

ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر اني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب فأن بر و عدل فذلك على به ورأيي فيه . وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرىء ماكسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورقوا به . ثم دعا ابو بكر بعمر خاليا واوصاه ما أوصاه ولما خرج عمر من عنده رفع يديه وقال

اللهم اني لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما انت اعلم به واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم وأحرصهم على ماأرشدهم وقد حضرني من أمرك ماحضر تأخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح اللهم ولاتهم واجعلهم من خلفائك الراشدين واصلح له رعيته .

وفاة أبي بكر

لما ثقل عليه المرض أوصى عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله ﷺ واشار الى ثوبيه فقال اغسلوهما وكفنوني فيهما فأن الحي احوج الي الجديد من الميت وأوصي ان تغسله امرأته اسماء بنت عميس ويعينها ابنه عبد الرحمن وكتب وصيته بخمس ماله وقال آخذ من مالى ماأخذ الله من فيء المسلمين ثم قال انظروا كم أنفقت منذ وليت بيت المال فاقضوه عني فوجدوا مبلغه ثمانية الاف درهم .

ولما حضرته الوفاة قال أى يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال ان مت من ليلتي فلا تنظروا بي الغد فأن احب الايام والليالى الى اقربها من رسول الله ﷺ وتوفي ابو بكر من ليلته وهى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جماد الآخر في السنة الثالثة عشر للهجرة . وعمره ثلاث وستون سنة ودفن الى جنب رسول الله ﷺ .

تأبين أبي بكر بعد وفاته

لما قبض ابو بكر ارتجت المدينة ودهش القوم كيوم قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم . وجاء علي بن ابي طالب باكيا مسرعا مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول :

رحمك الله ياأبا بكر كنت والله أول القوم أسلاما . وأحلقهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غني واحفظهم علي رسول الله ﷺ واحدبهم علي الاسلام واحماهم من اهله وأنسبهم برسول الله خلقا وخلقا وفضلا وهديا وصمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا .

صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقاً (والذي جاء بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك . كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكياً . لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كالجبل لاتحركه العواصف ولا تزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله ﷺ . ضعيفا في بدنك قويا في دينك متواضعاً فى نفسك عظيما عند الله . جليلا في الارض كبيراً عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوي فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف فلا حرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك :

وقالت أبنته عائشه فى تأبينه :

نضر الله ياأبت وجهك وشكر لك صالح سعيك . فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها . وللآخرة معزاً باقبالك عليها ولئن كان اعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأكبر الاحداث بعده فقدك ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض وأنا منجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ومستعينة كثرة الاستغفار لك فسلم الله عليك توديع غير قاليه لحياتك ولا زارية على القضاء فيك .

ودخل عليه عمر وقال . ياخليفة رسول الله لقد كلفت القوم بعدك تعبا ووليتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك . ؟؟

* * * * * *

نظام خلافته

كانت حالة الخلافة الاسلامية الي عهده أنه خليفة وعمر بن الخطاب قاضيه وابو عبيدة أمينه وكتابه عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب وزيد بن ثابت

ولايات الاسلام

وكانت ولايات الاسلام فى عهده عشرة لكل واحدة وال

١ — (مكة) وعليها عتاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢ — (الطائف) وعليها عثمان بن العاص

٣ — (صنعاء) وعليها جماعة من المهاجرين من بني أميه

٤ — (حضر موت) وعليها زياد بن لبيد

٥ — (خولان) وهي قبيلة عظيمة تسكن اليمن وعليها يعلى بن منيه

٦ — (زبيد) وعليها ابو موسي الاشعري

٧ — (نجران) وهو موضع شمال اليمن به قبائل من بني الحوت وعليه جرير بن عبد الله

٨ — (البحرين) من شواطىء بلاد العرب وعليها العلاء بن الحضرمى

٩ — (جرش) وهو مخلاف باليمن وعليه عبد الله بن نور

١٠ — (دومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وقاعدة اعماله جدة

وأمير جند الشام خالد بن الوليد

وأمير جند العراق المثنى بن الحارثة

خاتمة

في تاريخ ابي بكر

لقد كان للمؤمنين أسوة حسنة في رسول الله وفى أبي بكر حين ولى الخلافة فقد كان مثلا أعلي في العدل والحكمة والزهد فى الدنيا والتواضع وشظف العيش وخشونة الملبس مع غناه ووفر دخله من املاكه فاقتدى به المسلمون وتعفف كبارهم وسراتهم عن التنعم وكان قدوة حسنة لامراء العرب واشرافهم وملوكهم حتى ان وفدا من أشراف اليمن وملكهم قدموا عليه في حللهم وبرد الوشي المثقل بالذهب والتيجان والعبيد فما شاهداه وما عليه من اللباس والتواضع والنسك والوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كانوا عليه حتي رؤي يوما احد ملوك اليمن فى سوق من اسواق المدينة وعلي كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار .قال فأردتم ان اكون ملكا جبارا في الاسلام لا والله لاتكون طاعة الرب الا بالتواضع والزهد .

وفي هذا بلاغ لامراء المسلمين واشراف العرب وملوكهم وقادتها لعلهم يدركون سر ضعف المسلمين وتخاذلهم وانصرفهم عن طريق الدين الى مسالك الرفه والنعيم الذى اذل المسلمين وأوقعهم فريسة فى شباك المستعمرين .

عمر بن الخطاب

حاله فى الجاهلية

لم يكن عمر بن الخطاب فى الجاهلية بالنكرة بين قومه بل كان علماً من أعلامها وقوة لا يستهان بها يساعده فى ذلك انه أحد من انتهى اليهم الشرف من قريش له مكانة بين قومه وعزة جانب مع أنه لم يكن ذا مال وغني بل كان ذا شخصية قوية حفظت له نفوذاً كبيراً ومهابة لم تكن العرب لتخضع لها بسهولة

كان عمر تاجراً فى كبره راعى أغنام في صغره عرف بالشدة وقوة الشكيمة - ولذا كان يدعو الله النبي ﷺ بقوله (اللهم أعز الاسلام) وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن شرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي جد رسول الله ﷺ وكنيته أبا حفص ولقبه الفاروق .

ولد رضى الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة واليه كانت السفارة فى الجاهلية فاذا وقعت حرب بين قريش وغيرها أو نافرهم أو فاخرهم أحد كان هو السفير في أمرهم والنائب عنهم في المنافرة والمفاخرة تربي على الشهامة والنجدة وكان من أكبر المعارضين في الاسلام عند ظهوره .

اسلامه وصحبته

كان المسلمون قبل أسلام عمر بن الخطاب أقلية يخشون المجاهرة بأسلامهم ويجتمعون فى دار الارقم بن أبي الارقم المخزومى خفية لقلتهم وشدة قريش عليهم وليس هذا لأنهم من أصاغر القوم لا بل بينهم من سادات قريش وأغنيائها وذوى الشرف فيهم . فنهم أبو بكر الصديق وطلحة بن عبد الله وعثمان بن عفان وحمزة بن عبد المطلب . وغيرهم من صناديد قريش . الا أن الكثير منهم هاجر الى الحبشة بعد اسلامه لاضطهاد قريش لهم ولم يكن للبقية منهم الجرأة علي الظهور ولذلك كانوا فى حاجة للاستكثار من ذوى العصبية أو الجرأة والاقدام من رجالات قريش ليستطيعوا اعلان دينهم والذب عن نبيهم . وكان عمر ممن عرف بقوة البطش ونفوذ الكلمة وسمو المكانة .

فمن الله علي عمر بالايمان والاسلام فكان إسلامه فتحاً ونصراً

سبب إسلامه

وقد يسأل الانسان نفسه كيف أسلم هذا الرجل مع شدته فى قومه ومعارضته للاسلام في أول أمره وقد كان يعتز به كفار قريش أما سبب إسلامه فقد روي عنه رضى الله عنه أنه قال لجماعة من أصحابه أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدؤ إسلامى ؟ ثم قال

كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة قابلني رجل من قريش في بعض طرق مكة فقال أين تذهب ؟ يا ابن الخطاب انك تزعم انك هكذا

وقد دخل عليك الامر في بيتك ؟ قال فسألته وما ذاك فقال أختك قد صبأت . فرجعت مغضباً وكان قد ضم الي زوج اختي رجلين فقرعت الباب فقيل من هذا ؟

قلت ابن الخطاب . وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن في صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي اختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم . ثم قامت المرأة ففتحت لى .

فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى انك صبوت ورفعت يدى بشيء أضربها به وسال الدم فلما رأته بكت ثم قالت ، يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت

فدخلت وانا مغضب ، فجلست علي السرير ، ونظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب ؟؟ اعطينيه فقالت لا اعطيك لست من اهله ، أنت لاتغتسل من الجنابة ولا تطهر . وهذا لايمسه الا المطهرون

ولم أزل بها حتي أعطتنيه فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى . . ثم رجعت إلي نفسي فاذا فيها (سبح لله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فذعرت وعادت الي نفسي وكلما مررت بأسم من أسمائه تعالي ذعرت ، ثم ترجع الى نفسي حتي بلغت قوله تعالي (وآمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتي بلغت الي قوله (ان كنتم مؤمنين)

قال عمر : فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله .

ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين أما عمر بن هشام واما عمر بن الخطاب)

ثم سألتهم عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفوه لي فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال رسول الله افتحوا له فانه ان يرد الله به خيراً يهده . ففتحوا لى . ثم دخلت وجلست بين يدي رسول الله فأخذ عليه السلام بمجمع قميصى وجذبني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده . فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . . فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة . اه

اعلان الدعوة للاسلام

ثم أن عمرا لما أسلم قال يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قليل وقد رأيت ما لقينا ، فقال له عمر والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد . فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة ، ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق لانه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل . وأنزل الله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) .

فكان رضي الله عنه نصيراً للدين غير هيـاب ولا مستخف حتي انه عند ما اذن الله بالهجرة لم يتسلل لها خفيـة بل جاء الى الـكعبـة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً وقال من أراد ان تثكله أمه او ييتم اطفاله فليلقني وراء هذا الوادى واخبرهم بالهجرة .

ثم صحب النبي صلى الله عليه وسلم فأحسن صحبته وبذل في نصرته مهجته كما كان فى مكة شديداً على المخالفين قواماً على الحق لا يفتأ يراقب حركات المنافقين ويستطلع ضمائر الوافدين حتي اذا تفرس في أحدهم سوء نية لازمه في دخوله وخروجه وألزمه حد الأدب مع رسول الله صلي الله عليه وسلم .

هكـذا كان عمر رضى الله عنه نافعاً في صحبته ملازماً للنبي صلي الله شديد الحرص عليه والحب له والمدافعة عنه . وشهد معه من المشـاهد بدراً واحداً والخندق وبيعة رضوان وحنيناً والفتح وخيبر وغيرها .
وكان من حبه رضى الله عنه انه لما مات النبي صلي الله عليه وسلم لم يصدق بموته واصابه من شدة الحزن دهشة حتي قام فقال .. من قال ان محمداً قـد مات علوت رأسه بسيفي هذا . . وقد أرهب عمر المنافقين بهـذا القول فأذهلهم عن الكلام حتي جاء ابو بكر وسكن اضطراب النفوس بحزمه وبيانه

خــــلافة عمــر

تولي عمر أمر الخلافة وقد استخلفه عليها ابو بكر الصديق رضي الله عنه فكان في ظاهر الامر الخروج عن الشوري الذي قضى به القرآن الحكيم ولكن حقيقة الحال انها كانت بتسليم المسلمين وتسامحاً عنهم منعاً للفتنة والخلاف بين النفر المتطلعين اليها من المهاجرين هذا من جهة ومن جهة أخري تفرس المسلمين في عمر القدرة على سد الذرائع واطفاء الفتن كما تفرس فيه ابو بكر وكبار الصحابة وقد صدقت في عمر رضي الله عنه فراستهم

فكان بطل العدالة والامارة وأس المسلمين والخليفة الذي ضربت بديموقراطيته الامثال وتناقلتها السن جميع الاقوام والتي لا زالت الامم تخرج عن طاعة حكوماتها وتثور ضد امرائها فى سبيل المطالبة بعدل مثل عدله وحكم كحكمه . ولا عجب فقد كان المثل الاعلى فى الحرص علي مصلحة لجماعة المسلمين فى تواضع وأناة وانطر للذات وتقدير للمسئولية التي على عاتقه متمثلا في كل لحظة بقوله عليه السلام . « كلكم راع وكلكم مسئول عن العيته » .

بلغ أهل الشام مرض أبي بكر واستبطئوا الخبر وقالوا اننا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر . فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نري خلعه فقال بعضهم ابعثوا رجلا ترضونه اليه . وقد استبطأ عمر مبايعة أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس ؟ قال سالمون صالحون وهم لولايتك كارهون ومن شرك مشفقون فأرسلوني أنظر أحلو انت أم مر ؟

فرفع عمر يديه إلى السماء وقال اللهم حببني الى الناس وحبب الناس الي فاستجاب الله دعوته وكان عمر في سياسة الرعية حجة على الخلفاء والولاة وقد أجمع المؤرخون من عرب وفرنجة على أنه أعدل من ساس الامم

اعماله فى خلافته

﴿ فى بلاد فارس ﴾

أول عمل قام به عمر فى خلافته انتداب الناس مع أبي عبيد الثقفى لحرب الفرس وأوصاه وصية رجل درس الامم وطبائعها فقال له (ستقدم علي أرض المكر والخديعة تقدم علي قوم تجرأوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون . احفظ لسانك ولا تفشين سرك حتى لا تكون بضيعه) .

ثم أمر الثقفى أن يتقدم الي أن يلحق الجيش وأمره أن يستنفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعا حتى وصل الحيرة . وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين ببعض اختلافات داخلية على من يتولي ملكهم واتفقوا أخيرا علي ولاية (بوران بنت كسري) وان يقوم بأمرها رستم حتي يجدوا رجلا من بيت كسرى يصلح للملك .

فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهز الجيوش فأرسل جيشاً الي الفرات وجيشاً الى كسكر (١) وآخر لملاقاة المثني . واغرى الفلاحين ان

---

(١) بين بغداد والبصرة

ينتقضوا علي المسلمين . فخرج المثني من الحيرة الي خفان (٢) وانتظر ابا عبيد حتي وصل بعد شهر فسار منها الى الفرس فهزمهم ولحقوا بكسكر فقصدها أبو عبيدة وقد كانت جيوش الفرس تلاحقت فالتقى بهم أبو عبيدة وهزمهم شر هزيمة وبث سراياه وجمع بما حواليه من الانهار واعتصم بمعاقله حتي جهز الفرس جيشاً آخر تحت قيادة (بهمن) المعروف بذي الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كاويان) طولها اثني عشر ذراع فى عرض ثمانية اذرع مفصله من جلود فحدثت بين المسلمين والفرس وقائع علي الفرات انتهت بهزيمة الفرس وتقدمت العرب حتى مكنها الله من سواد العراق واجلاء الفرس عنها فكبر الفرس امتداد أيدي المسلمين لاخذ الجزية وزوال سلطتهم من الفرات وضعف بلاد الجزيرة وعبر ذلك من الطواريء متي تتبع الذلة والانكسار فقامت عامة الفرس وخاصتهم تتدارك الاضمحلال والزوال فأجمعوا أمرهم ورأوا من آل كسرى رجلا اسمه (يزدجر) فتوجوه ونادوا به ملكا عليهم فجمع النادة وسير الجيوش .

فلما علم الخبر سيدنا عمر بن الخطاب جمع شيشاً عظيما تحت قيادة سعد بن أبي وقاص الزهرى القرشي خال رسول الله صلي الله عليه وسلم وأوصاه بوصية أبانت أن الدين لا يعرف استقراطية بل يؤيد المساواة بين الطبقات فليس لاحد شرف علي الآخر لقرابته من رسول الله الا بالتقوي قال عمر رضى الله عنه .

وصية عمر بن الخطاب

﴿ لسعد بن أبي وقاص ﴾

(يا سعد بن ام سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الا بطاعته فالناس فى دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه فالزمه)

فسار سعد يقود الجيش الشديد وقد جمع أهل الرأي والجهاد والصبر يضم اليه من يصلح لاستكشاف عورات العدو . وقد بلغ سعد خبر وفاة المثني من جراحه التى أصابته فجمع جيشه وضم رجاله الى رجاله وعبي الجيش ورتب المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وسار نزل القادسية فأقام شهراً لا يأتيه عدو ثم تراسل مع (يزدجر) ملك الفرس وأنتهى الحال علي خروج رستم فى مائة الف او يزيدون لقتال المسلمين

تلاقي الجيشان ووقعت واقعة القادسية التى استمرت ايام و ليالى ولم يكن أشد علي المسلمين من الفيلة لنفار خيل العرب منها وأشد هذه المواقع ليلة الدير التى حاربت فيها العرب والفرس من أذان العشاء حتى قام قائم الظهيرة وترك المسلمون فيها الكلام . فلا تسمع الا

صوت الحديد وانتهى الامر بهزيمة الفرس وقتل فيها رستم مع كثير من قواد الفرس وباد عسكرهم قتلا وغرقا

ثم مكث سعد ريثما استراح جيشه ثم قام بفتح المدائن ويصالح أمرائها علي الجزية الى أن وصل الجيش عاصمة ملكهم فرأى ايوان كسرى أبيض ناصعاً فتذكر وعد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال (عصبة من المؤمنين يفتحون البيت الابيض بيت كسري) فقويت قلوبهم ونادى ضرار بن الخطاب (الله اكبر) هذا أبيض كسري هذا ما وعد الرحمن وصدق رسوله وكبر المسلمون وحاصروا المدينة وفتحت القري المجاورة . وهرب يزدجر الى حلوان (١) ونزل سعد القصر الابيض واتخذه مصلى وصلي وقرأ فى صلاته قوله تعالي (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك فأورثناها قوما آخرين)

ثم أرسلت البشائر والغنائم لامير المؤمنين ثم فتحت حلوان وهرب منها يزدجر وفتحت تكريت والموصل وغيرها من الجهة الشمالية

ثم فتح تستر جيش البصرة ثم السوس وواقعة نهاوند ثم التوغل فى بلاد العجم لضعف شوكة الفرس فأصبح سيدنا عمر أمير المؤمنين لا يخاف على المسلمين شيئاً من توغلهم في البلاد فعقد الالوية وسارت الجيوش حتي فتحوا تبريز وسار الاحنف الى خراسان ليلاقي «يزدجر» الذى أقام (بمرو) يثير الفرس على المسلمين فبلغ (هداة) من من بلاد الافغان فافتتحها وسار الى مرو فسلمت وكرمان وجستان

(١) بلد بينها وبين بغداد أربعة مراحل

ولكران وانتهوا الي دون النهر الى الحدود بين الفرس والسند .

هذه فتوحات المسلمين فى بلاد الفرس وفيها ترى صورة واضحة لقوة الايمان وقوة العقيده وكلاهما ذلل صعاب الامور وهزم الفرس على كثرة عددها وعديدها واستعدادها . وقد كان المسلمون خير اسوة في الانسانية فلم ينتهكوا حرمات البيوت ولم ينهبوا الآمنين ولم يعتدوا على غير المحاربين

ولم تقتصر الفتوحات في عهده رضى الله عنه على ذلك بل غزا دمشق وحمص وبيت المقدس وقد تم لجنوده المظفرة الاستيلاء عليها وضمها تحت لواء الاسلام .

اجلاء أهل نجران

لم تشغل أمير المؤمنين حرب جيوشه بالفرس عن أن ينظر في تطهير بلاد العرب من عوامل الفساد والفتنة فوجه نظره الى اجلاء أهل نجران لانهم نقضوا عهدهم لابي بكر واتجروا بالربي . وقد رأي أن فى اجلائهم من جزيرة العرب تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ حيث كان يرى أن لا يجتمع في جزيره العرب دينان .

هذا من جهة ومن جهة أخري أن النجرانيين كانوا يتجرون بالربا ولا يخفى ما فيه من الضرر على من جاورهم من أهل اليمن الذين ينضب التعامل بالربا معين ثروتهم ويؤذن بفقرهم مع ما فيه من الخروج عن تعاليم الدين الذي حرم الربا .

فأرسل عمر يعلى بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء أهل نجران وأن

يعاملهم بالرأفة والاحسان فقال (انهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه واقرر المسلم وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلدان وأخبرهم انا نجلهم بأمر الله ورسوله ان لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من أقام علي دينه منهم ثم تعطيهم أرضاً كارضهم اقراراً لهم بحق على أنفسنا ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن)

بهذه الروح الانسانية العالية وبهذا التواضع والادب مع أقلية ليس لها من يحميها من المسلمين يخاطب أمير المؤمنين عامله ليعاملهم بالحسني وكانه يقول اعذرونا فى هذا الاجلاء فأنه بامر الله ورسوله وان لكم حقاً علينا . خذوا أرضاً كارضكم وتعويضاً عن أموالكم ودياركم وأين هذه المرتبة من الكمال الانساني مما نراه فى الحروب في عهد المدنية فانهم يستعذبون إيلام المغلوبين واضطهادهم وحرمانهم من حق الحياة في الحرية

وأين (ولسن) الذي خدر أعصاب الامم بمبادئه التى كانت حبراً علي ورق من عمر بن الخطاب واعمري لو أن عصبة الامم انصفت لاخذت لها من سيرة عمر بن الخطاب درساً يعلمها كيف تذيع في العالم اعترافها بحقوق الامم المغلوبة على الغالبة ... ولكن للمسلمين يوم ترد فيه اليهم قوتهم فيصدون المستعمرين عن بلادهم ويعيدون للانسانية عهد الاخاء والحرية التي اظلتها مدة علو نجم الحكم الاسلامى .

* * * * * *

فتح مصر وبرقة

زار عمرو بن العاص مصر مرة فى عهد الجاهلية فرأى من ثروة أهلها وسهولة أمرها ما اطمعه فى فتحها فاختلى بعمر يوما وفاتحه بما فى نفسه وهون عليه أمر مصر ورغب اليه أن يوليه فتحها فتردد عمر رضي الله عنه في الامر لان جيوشه كانت متفرقة فى الشام والجزيرة وفارس تكافح دولة الفرس والروم فما زال به عمرو حتي استرضاه وأذن له بقصدها وجهز معه أربعة آلاف مقاتل

فسار عمرو بن العاص ودخل مصر ثم سار الي الفرماء فقاتله بها الروم نحو شهر فهزمهم وتقدم الي قواصر ودافع دفاعا خفيفا ثم الى بلبيس ثم الى أم دنين ثم مصر وأبطأ عليه الفتح فاستمد عمر فأمده باربعة آلاف مقاتل ثم استمده مرة أخرى فأمده باربعة آلاف مقاتل وكتب اليه اني قد أمددتك باربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف .

وقد مهد سبيل الفتح لعمرو ما كان في نفس قبط مصر من كراهية الروم ورغبتهم في التخلص من حكمهم والدخول فى سيادة المسلمين . فلما هزم عمرو جيش الروم تواطأ علي ذلك المقوقس وقومه وصالحوه .ولما تم الصلح شخص الى الاسكندرية وكان فيها جمع كثيف من الروم فحاصرها مدة طويلة وأخذها عنوة وكتب بالفتح الى عمر واستقرت قدمه في البلاد . ونظم أمورها ووطد أسباب الراحة فيها

ثم سار عمرو الي برقة وهي واقعة بين مصر وطرابلس فصالحه أهلها

على الجزية وسار الي طرابلس الغرب ففتحها عنوة وكتب الي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبلغه خبر هذا الفتح المبين .

علائق عمر مع الملوك

كانت علاقته رضى الله عنه مع ملك الروم سلمية بعد أن استقر بين دولتيهما الصلح منذ أتم عمر رضي الله عنه فتح الشام والجزيرة وتبودلت بينه وبين ملك الروم المكاتبات الودادية حتي ان أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب زوج عمر بن الخطاب أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من لطائف المدينة الي امبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقداً نفيساً من الجواهر ولكن عمر أخذه منها ورده إلي بيت المال لانه رأى أن عامل البريد يأخذ مرتبه من خزينة الدولة

وكاتب ملك الروم عمر وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم فكتب اليه (أحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها)



أثاره في الخلافة

كتابة التاريخ الهجرى

كان العرب قبل الاسلام يؤرخون بالحوادث الشهيرة عندهم كعام الفيل وقد ظل هذا الحال مع المسلمين الي أن مضي سنتان ونصف من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي الي سنة ست عشرة من الهجرة وفيها رأي عمر لزوم وضع تاريخ لضبط الحوادث بعد أن انتشر الاسلام وكثر الفتح وجمع الصحابة واستشارهم أي يوم يكتب التاريخ الاسلامى فأشار علي بن أبي طالب بان يجعل التاريخ من السنة التي هاجر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

تدوين الدواوين وفرض العطاء

اتسع ملك المسلمين وزادت واردات الاموال من الجزية والخراج زيادة أحس بها عمر رضى الله عنه الى الفكرة في ضبطها حتى لا يحرم أحد من مستحقيها ويضمن توزيعها توزيعاً عادلا . فاستشار عمر رضى الله عنه الصحابة في الامر فقال على بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما جاء اليك من المال ولا تحبس منه شيئاً . . . وقال آخر غير ذلك وقال الوليد بن المغيرة جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنداً . فدون ديوانا وجند جنداً . فأعجب عمر هذا الرأي وأمر بتدوين الدواوين وكلف عقيل بن أبي طالب وحمزة بن نوفل وجبير بن مطعم بالقيام بهذا الامر

ولما كتبت الدواوين كتب ديوان الشام بالرومية . وديوان العراق بالفارسية .

وفى هذا التصرف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منتهى الحكمة وبليغ الدرس للذين لا يؤمنون بان الدين لا يمنع الحضارة ولا يمنع تقليد الامم الراقية فى مستلزمات العمران والرقي وقد رضي عمر رضى الله عنه أن يقوم بسياسة الدولة المالية غير المسلمين من الروم والفرس وأدخل في حكومته الاصلاح لانه يعلم ان الله يامرنا بان نكون اقوياء فى الارض ولن تكون القوة في جمود وجبن بل القوة في الحركة والنشاط وسلوك سبيل الرقي والمنعة

ترتيب العمال وتقسيم الولايات

لما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كانت الحرب قائمة فجعل امارة الحرب فى كل جهة الى أمير مخصوص وكانت الامارة العامة لابي عبيدة الذى كان امير الشام فكانت معه المخابرة والصلح وكل ما يتعلق بالحرب وامورها وسياستها ولما زار الشام سنة ١٧ هـ رتب الشواتي والصوائف واقام الجنود علي السواحل وقسم الشام الى ولايات اقام في كل منها اميراً

ضرب النقود

كانت العرب قبل الاسلام تتعامل بالنقود الفارسية والرومية من الدرهم والدينار

فلما كانت سنة ١٨ هـ ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكلها بأعيانها غير أنه زاد فى بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله

وضع البريد

أول من فكر فى وضع البريد ورتبه (دارا) ملك الفرس فى القرن الخامس قبل الميلاد ثم استعمله الرومان وغيرهم من الامم وقد أدخل عمر بن الخطاب البريد فى حكومته وأقام له عاملا مخصوصاً يسمى عامل البريد يقوم أيضاً بملاحظة بعض العمال لكتابة اخبار الولاة لدار الخلافة ليكون الخليفة على علم بها . وظل البريد في دائرة ضيقة حتي جاء معاوية فنظم له العمال والمحطات الى غير ذلك .

جملة اعمال اخرى

في سنة ١٧ هـ حج عمر رضي الله عنه فبني المسجد الحرام ووسع فيه ونزع ملكية منازل ابي أصحابها ان يبيعوها له فأخذها باعتبار ان المصلحة العامة تقضى بذلك وأودع ثمن منازلهم فى بيت المال تحت أمر أصحابها . بذلك وسع مسجد رسول الله ﷺ

أقام دور الضيافات وأدر عليها الارزاق ووضع فى وسط الطريق بين مكة والمدينة دار ضيافة لابناء السبيل وفعل مثل ذلك بين الشام والحجاز ومنع الفقراء من التكفف بين الناس .

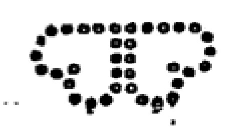
ثم امر بأقامة جسور وحفر ترع في العراق والشام ليتم الرخاء بين سكان دولته .

الوقاية من الطاعون والفرار منه

فى سنة ١٨ من الهجرة خرج عمر رضي الله عنه غازيا ومعه المهاجرون

والانصار فلما بلغ (سرغ) وافاه امراء الاجناد فى الشام واخبروه خبر الطاعون . فجمع الناس واستشارهم فى الرجوع فمنهم من أشار عليه بالرجوع ومنهم من أشار عليه بالقدوم فأصبح وقد عزم على الرجوع فقال له صحابي . أفرارا من قدر الله ؟ قال نعم . أفر من قدر الله الى قدر الله . أرأيت لو أن رجلا هبط واديا له ضفتان احداهما خصبة والاخرى جدبة أليس يرعى من يرعى الجدبة بقدر الله ويرعى من يرعى الخصبة بقدر الله ؟ وبينما الناس على ذلك اذ أتى عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً عن الناس ثم سأل ما الخبر فأخبر فقال عندي من هذا علم .

فقال عمر فأنت عندنا الامين المصدق فماذا عندك . قال سمعت رسول الله يقول (اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم به فلا تخرجوا فراراً منه) فقال عمر الحمد لله انصرفوا ايها الناس



سياسته وعـــدله

نشأ العرب في الجاهلية علي الخشونة وجفاء الخلق والأنفة عن الخضوع لحكم قانون أو سلطان . ولما جاء الاسلام هذب من حواشيهم ونقل كثيرا منهم من الحالة الاولى الي حالة المدنية ومكارم الاخلاق وهؤلاء هم الصحابة لمصاحبتهم رسول الله وتأثرهم بما في كتاب الله من الدعوة الي المحاسنة والملاينة . أما غيرهم فبقيت فيه آثار الجاهلية الاولي ولذلك لم يجد سيدنا عمر بدا من القسوة والشدة فى معاملتهم سيما ما كان يتوقعه من حصول الفتن والدسائس . ولو لم يقابل شدته اغراقه فى العدل وكرمه وبذل المال وحكمته فى وضع الثواب موضعه والعقاب حين لامناص منــه لما استقام له أمر الخلافة .

ثم رأي فى توجيه العرب الي الفتح صرفهم عن المنافسات التى كانت تسعر بينهم نار العداوة والحروب وعودهم بذلك الخضوع للسلطان والطاعة للرئيس الا فيما ينقص من حريتهم أو يعارض كتاب الله وسنة رسوله .

وكان عمر رضي الله عنه لاتخفى عليــه خافية من أمر رعيته سواء في بلاد العرب أو غيرها لشدة يقظته وكثرة عيونه في نواحى دولته يأتونه بأخبار عماله وعلاقاتهم مع الرعية . فأذا اتصل به أن عاملا بدرت منه بادرة لاحـد أو هفا هفوة في شأن ما فأنه لا يلبث ان ينذره أو يعزله . ولذلك كانت رهبته ملء القلوب وخافه العمال وخضعت له النفوس العاتية .

وقد لقي عمر رجلا من قريش . فقال (لن لنا) يا عمر فقد ملأت قلوبنا مهابة . فقال أفي ظلم ؟ قال لا . قال فزادني الله في صدوركم مهابة وقد أراد جماعة من الصحابة ان يخاطبوه في شأن فهابوه فأرسلوا عبد الرحمن ابن عوف فذكر له خبرهم فقال عمر أوقد قالوا ذلك ؟ فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك . ولقد أشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك . وايم الله لانا أشد منهم فرقا (خوفا) منهم مني . ثم قال ياعبد الرحمن والله لو أنهم يعلمون مالهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة لاخذوا ثوبي من عاتقي .

والذي زاد عمر مهابة في قومه ورعيته أنه كان لا يراعي في الحق كبيرا ولا يمالىء شريفا ولا أميرا . ومن ذلك ان جبلة بن الايهم ملك غسان لما أسلم ووفد علي عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب وبينما هو يطوف وطىء أزاره إعرابي من بني فزارة فضربه علي وجهه فشكاه الاعرابي الي امير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له اماأن ترضيه وأما ان يضربك كما ضربته ! فكبر ذلك علي جبله وقال الا تفرقون بين الملك والسوقة قال لا . قد جمع بينكم الاسلام . فأستمهله الي الغد ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا .

وقد تم لمصري مثل ذلك مع عمرو حيث استعاذ بعمر منه فأرسل عمر الي عمرو فقدم عليه فأتي المصري وقال له أضربه فضرب المصري عمرو بالسوط ثم قال للمصري ضعه علي صلعة عمرو . قال ياأمير المؤمنين انما أبنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو . مذكم تعبدتم الناس ولقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ . قال ياأمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني .

وليس هذا بعجيب فأنه عمر وهو الذي قال بين أفراد امته (ايها الناس من رأي منكم فى اعوجاجا فليقومه) ثم قام رجل وقال له والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فقال عمر الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

ولقد كان شديد العناية بأهل الذمة الذين دخلوا فى عهد المسلمين وسلطانهم من الشعوب الاخري وكثيراً ما وصى بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وكان لاينسى السؤال عنهم والاهتمام بهم ومن امثلة رأفته أنه رأي شيخاً من أهل الذمة يسأل على ابواب المساجد فقال ما انصفناك اخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك فى كبرك . . . ثم اجرى عليه من بيت المال مايصلحه .

وقد طاف ليلة بالمدينة على عادته فسمع امرأة من وراء بابها تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقني ان لاخليل ألاعبه

فلولا حذار الله لاشيء مثله * لزحزح من هذا السرير جوانبه

فكتب عمر الى قواده وعماله ان لايمسكوا الجند في الغزو اكثر من اربعة اشهر وانها لفطنة جدير بها عمر الذي آتاه الله مالم يأت لاحد من الملوك والامراء بعده من السياسة والعدالة .

وكان عمر ديموقراطياً بأبلغ مايفهمه دعاة الديموقراطية فقد كان يخالط الناس ولا يحتجب عنهم وكان يكره من عماله الترفع والاحتجاب واتخاذ الحجاب حتى انه بلغه ان سعد ابن ابي وقاص بني دارا سميت بدار سعد . فكتب اليه بلغني انك بنيت قصراً اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر

الخبال أنزله منزلا مما يلى بيوت الاموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس عن دخوله الخ

هذا تأديبه لعماله ووصيته لهم بان لا يحتجبوا عن الناس ولا غرابة أن يكون هذا حرصه على رعيته وهو الذى كان اذا بعث عماله شرط عليهم (أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ان فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم فاذا أراد أن يرجع قال (انى لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعشارهم ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتحكموا بينهم بالعدل .)

ثم كان يهمه رضى الله عنه خبر عماله فان علم عن أحدهم ما يخل بالمروءة عزله حالا . ومن ذلك عزله للنعمان بن فضلة لانه سمع أنه قال :

ألا هل أتي الحسناء ان حليلها بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

وكان من أعجب ما يذكره التاريخ بالفخر لهذا الخليفة ويسجله بالعار على من عدل عن عدله وسياسته أنه كان يعد مال عماله قبل أن يوليهم فاذا علم أنه زاد زيادة توجب الريبة أمر بالزيادة الى بيت المال

الى هنا نقف عند هذا العدل ونطلب ممن اعجبهم عظماء الغرب وسياسيهم ان ينظروا الى الحكام فى الاسلام قبل ان يصل نور الحضارة لاروبا وكيف كانوا يسوسون الامم ويولون العمال ويمزقون الفروق بين الطبقات .

بهذه السياسة الحكيمة وبهذا العدل جاء الاسلام وأمر المسلمين وان ما حل بالملوك والامراء والسلاطين من ضعف وسقوط انما كان عقابا لهم لانهم نكثوا عهد الله وخالفوا سنة نبيه والخلفاء الراشدين

مقتل عمر

كسب رضاء الناس غاية لا تدرك فمن كان يظن ان عمر ابن الخطاب لا يكتسب رضاء أحد رعاياه وهو كما كان علم العدل الخفاق علي ربوع البلاد الاسلامية اعدل من ساس الامم فى الارض منذ الخليقة الي الآن الا ان ذلك لم يمنع وجود نفس شريرة مجرمة تملكت شقى من اشقياء الخوارج ابو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة الذي قال وسع الناس كلهم عدله غيرى فجاء وهوفي صلاة الصبح فى المسجد وطعن الامام عمر بن الخطاب طعنة في كتفه ثم أثني في خاصرته . ولم ير احد هذا الاثيم ولم يعلموا الا حين سمعوا اميرهم يقول قتلني الكلب .

ولما سقط عمر قال أفي الناس عبد الرحمن ابن عوف قالوا نعم قال هو ذا قال تقدم فصل بالناس . فصلي عبد الرحمن بالناس صلاة خفيفة وعمر طريحا ثم حملوه فدخل داره فدعا بعلى وعثمان والزبير وقال لهم تشاوروا فى امر الخلافة وليشهدكم عبد الرحمن بن عمر وليس له من الامر شيء . قوموا فتشاوروا وليصل بالناس صهيب

وكانت وفاته يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجه سنة ٢٣ هـ ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة ٢٤ هـ وكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرين يوما وكان له من العمر ثلاثة وستون سنة

عثمان بن عفان

يخطىء الذين يقيسون بطولة الأفراد وعظمتهم النفسيه بما يتم لهم في مدة قبضهم علي زمام الامور ويهملون ما كان لشخصيتهم من الأثر الفعال فى القومية والحالة الاجتماعية .

فقد تكون الصفات الممتازة التي تقدم العظيم على سواه من رجال عصره تظهر فيه وتتجلى من سلسلة مجهوداته و أعماله فاذا سحر الناس به وملأت نفوسهم وملكت قلوبهم واستولت على حواسهم مظاهر عظمته فانتخبوه أميراً عليهم أو خليفة لهم فلم يسقهم الى هذا الانتخاب والاختيار الا عقيدتهم الراسخة وايمانهم الثابت ونظرهم الثاقب . فاذا ما جاء هذا البطل المجمع عليه من الشعب الى منصة الرياسة واختلفت الظروف عليه وفوجىء بفتن الدساسين وأشكل عليه الامر وحلكت الحوادث فى جو العدل ثم هي لم تمهله ليفتح له نفقاً فى الارض او سلماً في السماء حتي عاجلته المنيه فيغمط حقه ويسقط ذكره من بين عظماء التاريخ ورجاله

هذه كلمة نسوقها قبل البدء في تحليل نفسية عثمان بن عفان فقد أوشك المطلع عل الحالة فى خلافته أن يعده فى مقام من التاريخ لا يتناسب مع عظمته وبطولته وان كانت هذه العظمة لم تكن بارزة ولا واضحة في تدبيره دفة الامور حين ولي الخلافة :

اسمه ومولده

وصناعته واسلامه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب القرشي الاموى

ولد فى السنة السادسة من الفيل وكان عثمان بزازاً وكان غنياً كريماً حسن الشيم محبوبا فى قومه مأمونا عندهم ، سيرته فى أفواه الكبار والصغار، وكانت المرأة من العرب ترقص صبيها وهى تقول

أحبك والرحمن   حب قريش لعثمان

وهذه منزلة في النفوس لم يبلغها عثمان الا بشهامته وقوة نفسه وعظمته الشخصية

أسلم عثمان حين دعاه أبو بكر للاسلام فكان قوة من اقوى التي قام عليها صرح الدين لان فطرة عثمان السليمة وروحه المتقدة اخلاصاً وقلبه المملوء عطفاً وحنانا قابل الدعوة الي الاسلام بسهولة وبساطة ولم تكن الدعوة للاسلام الى دعوة خالصة لعبادة الله وحده ومفارقة الاوثان وعبادة الاشخاص . فكان عثمان ممن قام بالدعوة للاسلام وتمهيد السبيل لنشر كلمة التوحيد بتلك السرعة التى لم يذكرها التاريخ لاي دعوة أخري . فقد حدثنا تاريخ الانقلابات الاجتماعية أن الدعوة للجديد تسير ببطء للمناهضة التي تلقاها من معاندة المحافظين علي القديم

اما الاسلام ففطرة الله التي فطر الناس عليها اشرب بقلوبهم وامتزج بنفوسهم بسهولة الا من ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة العناد فأصروا علي الكفر واستكبروا استكباراً

صحبته

كان عثمان في صحبته محبوبا من رسول الله ﷺ عزيزاً عليه فحباه من كرامة المصاهرة بنتيه تقديرا لحسن بلائه فى الاسلام فزوجه بعد اسلامه برقية ثم توفيت في السنة الثانيه من الهجرة فزوجه بأم كلثوم . ولما توفيت قال له رسول الله ﷺ لو أن لنا ثالثة لزوجناك . ولم يكن هذا الاختيار من الرسول الامين الا لمكانة عثمان وحزمه وبطولته .

تعالى عثمان في طاعة رسول الله وتحمل المشاق في سبيل الدين ماينوء بحمله اولو القوة . فهو الذى هاجر الي الحبشه ببنت رسول الله حين لقى من قريش الاضطهاد ووجد فى ذلك عصمة واستمساكا بعروة الاسلام

وقد سجل له تاريخ الفتوحات الاسلامية بذله العظيم فى سبيل الله ورسوله وقد يقف الحد عن حصر مابذله فى هذا السبيل وأن في تجهيزه الف بعير فى غزوة تبوك لجيش العسرة لواحدة من تلك الاعمال الجسيمة التى كان خير قدوة فيها لغيره

وعثمان بن عفان هو الذى ابتاع بئر رومه وجعلها للمسلمين يستقون منها . بعد ان كانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها

وقد كان حكيما فى انتزاعه هذا البئر من صاحبه فقد اشترى منه نصفه اولا واتفق علي ان كلا منهما له يوم ودفع في النصف ١٢ الف درهم

فكان المسلمون يستقون في يوم عثمان . ورأي اليهودي ان هذا افسد عليه الامر فباع النصف الآخر بثمانية الف درهم لعثمان

وزاد عثمان فى مسجد رسول الله زيادة وسعت من نطاقه . كل هذا قليل من كثير وبمثل عثمان فى المسلمين تقوم الدعوة الصالحة وتؤسس القومية وتنظم النظم الاجتماعية

عبرة وذكرى

فلو ان الاغنياء من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ينفقون في سبيل جمع الامم الاسلامية بجامعة التوحيد وجامعة العلم وانفقوا في تأسيس المدارس والجامعات وربط الاموال على الوعاظ والمرشدين ونشر المؤلفات الموقظة للشعور والمنيرة للسبيل ونشرها فى جميع البلاد الاسلامية على العامة والخاصة لما وجدتها بعد بضع سنين الا امة اسلامية عظمى حدودها بين المحيطين وفيها نور العلم يرشد الي السبيل العملي لعزة الجانب وعظمة الحياة التى أمرنا الله ان تكون خلفاءه في الارض وحذرنا من الاستكانة والضعف والاستسلام فقال تعالي (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) اى لاتهلكوا انفسكم بالكسل والرقاد والتسليم للغاصبين والمستعمرين فأن فى هذا الضعف والتسليم ابادتكم وهلاككم وهدم كيانكم الاجتماعى والسياسى . فأذا انهدم كيانكم الاجتماعى والسياسى عجزتم عن التمسك بدينكم وانهزمتم امام دعاة الشر والطغيان ووجد الفاتحون بين صفوفكم مسلكا يملكون به بلادكم . ويذلون الاعز فيكم

ألا أيها المسلمون ان عثمان بن عفان ضرب لكم فى العهد الاول المثل الاعلي فقوموا بواجبكم وا كثروا من المدارس وشجعوا الداعين لاتحاد المسلمين وجمع كلمتهم فأن ذلك هو الفوز العظيم

الخلافة والدين

لم تكن الخلافة في الدين وراثية بل كانت بالانتخاب ومشورة أولى الرأى من المسلمين . ولذلك حين قدم عمر الى ابي بكر رضى الله عنه وبايعه علي الخلافة أقبل المسلمون يبايعون دليل رضاهم وموافقتهم علي خلافته .

ولما وصى أبو بكر لعمر بالخلافة بايع قريش عمر وكاشفه فريق كاهل الشام بانهم يخشون شدته ويرون عزله ان كان مراً . ثم أنه قام فيهم بالامر فأحبوه وكان عدله وحكمه آية في جبين الزمان .

والامة فى هذه الحال أشبه بالجمهورية اذ كل يري حق له ابداء الرأي فى انتخاب أمير المؤمنين .

وكان ينقص جماعة المسلمين في هذا النوع من الحكم وضع دستور للانتخابات كما تقوم اليوم في سائر الامم الدستورية .

ولكن اتساع الملك ودخول الامم الكثيره تحت لواء الاسلام واستمرارهم على الجهاد مدة الخليفتين ركن بهم الي الراحة اعتماداً علي ما بلغته الدولة من القوة وشاهق المجد .

ولم يكن للدين دخل فى الخلافة الا أنه جعل الامر بينهم شوري

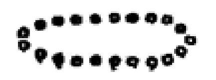
وترك للقابضين على زمام الحكم تنظيم هذه الشورى حسب مقتضيات الاحوال والزمان .

والشارع أباح الاجتهاد في المعاملات دون العبادات لان المعاملات تتعلق بمصلحة المسلمين حسب ظروفهم الاجتماعية ونهضات الشعوب السياسية .

والدين الذي وعد المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكينهم من الملك لم يمنع مفكريهم ومصلحيهم من الاخذ بالقواعد الكفيلة بهذا الاستخلاف وتمكين الملك . وهذا لا دخل له فى العبادات لان العبادات قطعية.

أما نظام الملك فلا يقوم الا على النظم السياسية والاجتماعية والطبيعية والدين يامر بكل ذلك . اذ فى درس الطبيعيات استثمار الاراضي بالزراعة واستخراج المعادن ما بطن منها وما ظهر . وفى ذلك درس لما يتعلق بالانسان في أدوار الرقي والتطور .

فالخلافة من بادىء الامر خلافة دينية من حيث رقابة المسلمين وتمكينهم من القيام باعباء عباداتهم . ودنيوية من حيث تنظيم الملك وسياسته



خلافة عثمان

مات عمر رضى الله عنه ولم تكن هناك قاعدة للشوري بين المسلمين فيمن يتولي الخلافة وقد ترك عمر الشوري لهم بين ست من الصحابة بينهم عثمان بن عفان وظن في ذلك حصر الشوري فى دائرة تمنع الفتن والخلاف في الرأى .

ولكن ما ظنه لا يحصل قد حصل فتكل جماعة رأوا في واحد من الذين أوصى باختيار الخليفة منهم كفاءته بالخلافة وكلهم رغبها لنفسه . وعمر رضي الله عنه لما عهد للستة أمرهم بالاجتماع قريباً منه ليتشاوروا فيما بينهم فاجتمعوا وتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد

فانتبه عمر وقال ألا أعرضوا عن هذا أجمعون فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ثم ذكر الستة وقال لا أظن أنه يلي الامر الا أحد هذين الرجلين علي وعثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى علي ففيه دعابة واحر أن يحملهم على طريق الحق

فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي وعثمان أيهما يصلي عليه فقال عبد الرحمن كلاكما يحب الامرة لستما من هذا في شيء هذا الي صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثاً . حتى يجتمع الناس على امام فصلى صهيب .

فلما دفن أمير المؤمنين اجتمع أهل الشوري وتنافس القوم فى الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة . أنا كنت لان تدافعوها أخوف مني لان تتنافسوها .

فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد فقال أنا أنخلع منها . فقال عثمان أنا أول من رضي فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أمين فى الارض أمين في السماء) فقال القوم قد رضينا . وعلي ساكت . ثم سئل ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال لعثمان أعطني موثقاً (لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوي ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة) .

فقال أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معى علي من يرتد وغير وأن ترضوا من اخترت ولكم علي ميثاق أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلوا المسلمين . فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله .

ثم قام عبد الرحمن بن عوف فى أخذ الاراء كلما وجد قوما ، وفي اليوم الثالث من وفاة عمر رضي الله عنه اجتمع الصحابة فى المسجد حتى ازدحم بهم وتناوب الخطباء الخطب فرشح بعضهم عثمانا ورشح آخرون عليًا ورشح بعضهم آخرين ولكن البيعة انتهت لعثمان وصار أمير المؤمنين .

أعماله فى خلافته

(الكوفة) استفتح سيدنا عثمان فى بدء خلافته باستعمال سعد بن ابي وقاص عليها عملا بوصية عمر رضى الله عنه ثم عزله لخلاف وقع بينه وبين ابن مسعود الذي كان علي الخراج . وولى بعده الوليد الاموي ثم فتح (موقان) و(الطيلسان) وصالح (اذربيجان) وسار الكوفيون لفتح (طبرستان)و (البصرة) كان واليها ابو موسى الاشعري فعزله عثمان وولى عبدالله بن عامر الذي تمرد عليه بعدئذ أهل فارس واضطر لاخماد الفتنة وصالح اهاليها

(الشام)كانت ولاية الشام فى اول خلافته رضى الله عنه في يد معاوية ابن ابي سفيان الذى قام بغزوات بريه وبحرية حتى بلغ عمورية وفتح جزيرة قبرص وجعلها مركزا حربيا للمسلمين في البحر الابيض وفتح كذلك كريد و(مصر) كان عمرو بن العاص واليا عليها فجعله عثمان علي الجند وولي عبدالله بن سعد خراجها فلم يتفقا فعزل عثمان ابن العاص وأمر عبدالله علي الجند والخراج وسيره الى فتح بلاد المغرب ففتح فيها ماشاء الله ان يفتح وقتل ملكها (جرجير)

(ارمينيا والقوقاز) فتح في عهد عثمان بلاد ارمينيا والقوقاز مرة ثانية اذ كانت المرة الاولى في عهد عمر . وكان القائد في هذه الحرب حبيب ابن مسلمة الفهري فحاصر ارمينيا من اطرافها وفتح كرجستان وتفليس ثم سارت الجيوش الاسلامية الي القوقاز ففتحها وصارت البلاد الي اليوم بلادا اسلامية

وكان في هذه الحرب لنساء المسلمين فضل الاشتراك مع رجالهن وأبلين بلاء حسنا . حتي ان أم عبدالله الكلبية امرأة حبيب قالت له ليلة الفتح أين موعدك ؟

فقال سرادق الطاغية (يعني أموريان) قائد جيش العدو فلما انتهى الى السرادق وجدها عنده .

جمع المصحف

من أعظم آثار عثمان رضى الله عنه في خلافته جمعه الناس علي مصحف واحد بعد أن تعددت القرآت واختلف فيها أهل الامصار .

جمع عثمان الصحابة وأقام فيهم حذيفة بما رأى من الخلاف فى القراءات فاعظم ذلك الصحابة وقرروا تلافي الامر قبل استفحاله فأرسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف كتبت في عهد أبي بكر رضى الله عنه ثم أمر عثمان زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فلما نسخوا المصحف ردها عثمان الي حفصة وأرسل الى كل افق بمصحف وحرق ما سوي ذلك

دور الضيافة والقضاء

ومن مآثر عثمان اقامة دور الضيافات فى الكوفه وترتيبه الطعام فى شهر رمضان لاهل المدينة واتخاذه داراً للقضاء بين الناس . وكان الخليفتان قبل ذلك يجلسان للقضاء في المسجد

سياسته وعدله

كان عمر رضي الله عنه مع شدته مغرقا في العدل فكان القوم يحبونه مع الخوف أما عثمان فكان لين الجانب رؤوف القلب كثير الاحسان الي الرعية . وكان هذا الاحسان والاغراق في العطف وخيم العاقبة رغم ان القوم كان قد أدبهم الرسول وانتقلوا من خشونة البداوة الى سماحة الاسلام .

فان حلم عثمان ولينه وما تم للمسلمين من سعة السلطان ان صح النظر الى العواقب . واذا كان عهدهم بالملك عن طفرة واحدة ترى أن المجال كان فسيحاً لمرعى الفتنة . واذا علمت أن عثمان بدل الولاة فتألبت بذلك بعض الولايات . وأغرق عثمان فى اللين والمحاسنة فانكشف ضعفه عن سياسة الملك

ويأخذ المؤرخ على عثمان في سياسته أمرين (الاول) اطلاقه سراح المهاجرين من المدينة وقد كان عمر يمنعهم من الخروج وقد كان من جراء ذلك اثارة الدعاية ضده بما تنف عنده الحكمة عاجزة عن علاج نتائجه وملافاة خطره

(الثاني) استبداله العمال بمن هو أضعف فكان ذلك فتح باب يكيد به الاقوام للعمال عليهم . فكلما حكم عامل بالانصاف ولم يرض حكمه بعض نفر رفعوا مظلمتهم الى عثمان ليعزله

وكان من أشد الولاة يقظة واسدهم سياسة عمرو بن العاص فما

زال به أهل مصر حتي عزله عثمان ·

هذه سياسته في خلافته نترك للقاريء اصدار حكمه عليها ، أما عدله فكان عادلا لا يبخس احدا شيئا وكان يتفقد الرعية ويرد المظالم ومن حوادث ذلك انه اشتري من رجل ارضاً فأبطأ عليه فقال للرجل مامنعك من قبض مالك ؟ فقال انك غبنتني فما القي من الناس أحداً الي ويلومني قال أذلك يمنعك ؟ قال نعم ، قال فاختر بين أرضك ومالك · ثم قال قال رسول الله ﷺ (ادخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا او بائعا وقاضيا ومقتضيا)

وقد استمرت خلافته ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئا وأنه لاحب الي قريش من سيدنا عمر بن الخطاب . لانه لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمر بعضهم

أثر سياسته

« في الحكومة وتمهيد اسباب الفتنة »

لما أحس القوم من عثمان رضي الله عنه اللين فشي المنكر في الامصار فأراد علاج الامر فاستعمل عليها أقرباؤه وأهل بيته في الست الاواخر من عهد خلافته ففتح بذلك باب القالة وانحرف الناس عن باب الخلافة .

وقد داخل العرب التيه والعجب بما فازوا من الظفر على الامم الاخري وما كان لهم من الفتوحات فكانوا يرون لهم الفخر والتفضيل علي سواهم ثم وافق ذلك تنازل عثمان لمروان بن الحكم عن خمس مغانم افريقيا فنقموا على عثمان ذلك .

واستلان جانب الخليفة اعداء الاسلام فأسلم عبدالله بن سبأ في أول خلافة عثمان وهو يهودي من صنعاء أسلم ليكيد للخليفة ويحدث الفتن فى القرى والامصار فطاف الحجاز والشام والعراق ومصر وأظهر الامر بالمعروف وهو ينفر الناس من عثمان ويبذر بذور الكراهية فى النفوس

خرج معه جماعة من مصر من اهل خربتا وقدم المدينة فكان أول وفد قدم الى عثمان يحاسبه علي أعمال عماله الامويين بالامصار .

دارت رحى الفتنة في المدينة وكثر اللغط فى امراء الامصار فأرسل عثمان الي عماله ان يوافوا الموسم فقدموا عليه فاستشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال عبدالله بن عامر اشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمال وقال معاوية اجعل كفايتهم لامرائهم وأنا أكفيك الشام . وقال عمرو ارى انك قد لنت ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأري ان تلزم طريق صاحبيك فتشتد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين

فقال عثمان رضي الله عنه قد سمعت كل ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتي منه ان هذا الامر الذي يخاف منه على هذه الامة كائن وان بابه الذي يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين الا في حدود الله فأن فتح فلا يكونن لاحد علي حجة وقد علم الله اني لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة دائرة فطوبي لعثمان ان مات ولم يحركها . سكنوا الناس . . وهبوا لهم حقوقهم فأذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا . . ثم نفر ونفر الامراء الي بلادهم .

خرج الامراء من لدن عثمان ومعه معاوية الذي قال له أخرج معي الي الشام فأنهم علي الطاعة قبل ان يهجم عليك مالا قبل لك به فقال

عثمان لا ابيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء ولو كان فيه خبط عنقى قال فأن بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت ؟ فأبي عثمان وقال لا أضيق على جيران رسول الله .

فقال معاوية والله لتغتالن ولتغزين ! فقال حسبي الله ونعم الوكيل

ظهور الفتنة

لما زجع الأمراء كتب بعض الثائرين من أهل المدينة الي الثائرين فى الامصار بالقدوم عليهم . وقد كان كل فريق يري أن يولى الخلافة صاحباً له فمنهم من رغب طلحة ومنهم من رغب علياً ومنهم من رغب سواهما وكل يظن أنه على بصيرة من أمره والحقيقة أن ليس فى القوم داهية اذ لو فرض أن عثمان أصبح غير أهل للخلافة .. أليس الاحري أن يجمع الامر حسب الشريعة فيمن يتولى بعده ثم يعلن خلعه . ؟؟

ولكن القوم غايتهم واحدة في خلعه وأغراضهم شتي فيمن يخلفه وقد كان المرشحون للخلافة أنقى سريرة وأشد تمسكا بالحزم فقد طرد على الذين فاوضوه فى الخلافة وكذلك فعل طلحة والزبير فيمن جاءهما من الثائرين . فخرج الثائرون الي أمصارهم بعد أن يئسوا من علي وطلحة والزبير

ولكن أهل المدينة ما لبثوا أن شعروا بتكبير في نواحيها وقد عاد الثوار وهجموا على عثمان وأحاطوا به وغدا عليهم على وقال ما شأنكم وما ردكم بعد ذهابكم ؟؟

قالوا أخذنا كتابا مع بزيد لقتلنا .. وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل ذلك

فقال علي كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم علي مراحل من صاحبه حتي رجعتم علينا جميعاً ؟؟ هذا أمر دبر بليل . ثم سأل عثمانا فى ذلك فقال والله ما كتبته ولا أمرت به

ولكن الثوار قالوا اما أنه صادق أو كاذب فأن كان كاذبا استحق الخلع لما أمر به من قتلنا وان كان صادقا فقد استحق الخلع لضعفه عن هذا الامر الذي يقطع دونه .

سبب الفتنة وعواملها الداخلية والخارجية

لم تكن عوامل الفتنة من الدعوة ضد عثمان في الامصار لولاية أصهاره وذوي قرباه فحسب . بل كانت بطانة عثمان من بني أمية تستغل كبر سنه وضعف رأيه ولم تلن جانبها الى الثوار ولم تبتعد عن الشر المخيم في الافق رغم تلبد غيومه ووضوحها فكلما جاء علي عثمان ينصحه بتطهير بطانته وخلع مروان منها ترضية للساخطين جاء مروان ومسح مقالة علي

فكان اكبر الشرر لهذه الفتنة من بطانة عثمان وكان عثمان بين عدو خارجي وعدو داخلي . حتى أن عثمان قال لمروان كلم القوم وبلغهم أني استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فمثلي نزع وتاب فاذا أنزلت فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبداً لاستن بسنة العبد ولاذلن ذل العبد

ولكن مروان أغلظ للقوم وقال لهم « اجئتم لنزع ملكنا من أيدينا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الي منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا »

ولما علم ذلك على غضب وقام الى عثمان وقال له أما رضيت من مروان ورضى منك ألا يتحرفنك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء ربه والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا فى نفسه وأيم الله أني لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك اذهبت شرفك وغلبت على رأيك .

ثم دخلت عليه امرأته وقد سمعت قول على فعذلته فى طاعة مروان

قتل عثمان بيد الثوار

لم تفد نصائح على ولا مساعيه بين عثمان والثوار وأخيراً لزم قعر داره . ومنع الثوار الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته وقصدوا باب داره وحصروه فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة فامر عثمان بالكف عن القتال .

ثم جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبي ومنع سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظاً للالفة التي بها حفظ الكلمة . مع أن الثوار منعوا عنه الطعام والشراب مدة الحصر . فكان عثمان بذلك يهتم لامر المسلمين ولو في ذلك هلاكه ،

ثم أحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن تلاوته . ثم قال أن رسول الله ﷺ قد عهد الى عهداً فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يريدون أعظم منه وأمرهم بالانصراف

ثم دخل عليه رضي الله عنه السفكة الاشقياء فقتلوا هذه النفس الزكية ولم يخشوا الله في ذي النورين فقد وطئو أضلاعه بعد موته والقوا التراب على جسده بعد سحبه .

قتل عثمان ضحية الفتن الخارجية والداخلية وقد كان لقتله ثورة من الطالبين بدمه أزهقت من أجلها الارواح الطاهرة وشاب لهولها الولدان

***

والحق يقال انه لم يقصر على بن أبي طالب فى دفع الاذي عن عثمان مع تيقنه من مصير الخلافة اليه بعده فأنه لم يأله نصحاً ولم يضن عليه بمد يد المعونة له والذب عنه

وقد كتب عثمان لعلي عند أستفحال الخطب (أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره وزعموا أنهم لا يرضون دون دمى وطمع في من لايدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال أ كل السبع خير من افتراس الثعلب فاقبل على أولى

فأن كنت مأ كولا فكن أنت آكلى والا فأدركني ولما أمزق

وقد عمل علي جهده في منع الكارثة ولكنها وقعت

خاتمـــــــة

قتل عثمان بيد الائمة الاشرار ولم يؤخذ عليه رضي الله عنه الا ضعف رأيه وكبر سنه وسهولة أخلاقه ولين طبعه ولو أنه أوتي بجانب ذلك شدة عمر لكان كعمر وقد كان له من الخلال ما تزدان به الصحف اذا ذكر العظماء والابطال لان الاخلاق الشخصية لها أثرها فى أعمال العظماء واليك قليل من كثير عن الخليفة عثمان بن عفان

أدبه وتأديبه

قال عثمان لابن عيينة يوماً . ما تغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ . وفى هذا القول تناه فى الادب والاحترام مع رسول الله الذي بايعه بيده اليمني .

ولم يكن هذا بعجيب من عثمان الذي جاء لعبد من عبيده فقال له أني كنت عركت أذنك فاقتص مني . ثم أخذ العبد أذنه فقال له عثمان اشدد ياحبذا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة

وقد جلد في عهده رجل من ثقيف في الشراب وكان لذلك الرجل مكانة من عثمان في خلوته فلما جلد أراد ذلك المجلس فمنعه إياه وقال لا تعود الي مجلسك أبداً الا ومعنا ثالث .

وكان عثمان كثير التقوى والقنوت كثير الصلاة كثير تلاوة القرآن شديد الولع به ولاستشهار له . وقد قال فى ذلك رضى الله عنه (لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا) .

كتبه وخطبه

ولعثمان من الكتب والخطب ما يضيق عنه الحصر وقد كتب مرة الي بعض عماله (ان الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته وقال سبحانه « لو أنفقت مافى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » وهو مفرقها على معصيته ولا تعجلوا على أحد بحد قبل استجابة فان الله تعالى قال « لست عليهم بمسيطر الا من تولي وكفر » من كفر داويناه بدوائه ومن تولي عن الجماعة انصفناه وأعطيناه حتي يقطع حجته وعذره ان شاء الله)

وقال فى كتاب آخر « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض . »

الحالة الاجتماعية في عهده

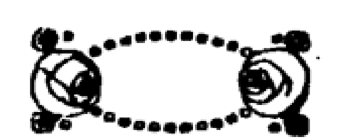
استكمل المسلمون الفتح فى عهد عثمان ودال للعرب ملك فارس فصارت اليهم سياسة الممالك فساروا فى الناس مسلك الحق والعدل وازدهى أمر الدولة وزاد المال والرخاء وامتد رواق العمران وانصرف المحاربون بعد الفتوحات الي التجارة فراجت وتصاعدت أثمان العقار والمنقولات لكثرة النقد فبيعت جارية بوزنها ذهباً وفرس بمائة الف درهم ونخلة بالف درهم . وتوفرت أسباب الكسب ونمو الثروة الاهلية بين الطبقات .

وبينما العرب فى هذا الرخاء يتمتعون بما أفاء الله عليهم من تراث الامم ويتسنمون ذورة الحضارة ويسيرون فى عمارة الدوله سيرة من

برفع لاخلافه بنيان المجد والدنيا مقبلة عليهم ء اذ صاح بهم صائح الفتنـة فاستوقفهم عن سيرهم وقذف بهم الى التنافر والتخاصم فانقسموا أحزابا متفرقة وشيعا متباينة .

فكان عصر عثمان في أوله عصر رخاء وفي آخر عصره شدة ومحن اندلعت بعدها لهب الانقسامات السياسية والدينية وحول مجري الامور عن وجهتها الاصليه

وهكـذا الامم تسعى إلى هلاكها واضمحلالها بتنافر أفرادها وتعدد أحزابها وانقسام كلمة ذوي الرأى فيها .



على بن أبى طالب

حاله في الجاهلية

مولده ونسبه

هو على بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمى القرشي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وهو أول خليفة ابواه هاشميان .

ولد رضى الله عنه في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

لم يصب علي بن طالب بشرك الجاهلية ولم يكن الاملهما التوفيق من يومة فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى دون البلوغ وكان معه في منزله فاقتبس من هديه وسلك سبيله فلم يعبد وثنا قط .

حاله في الاسلام

عرف على رضي الله عنه بالشجاعة والبسالة بين قومه فكان مهذبا محترما جمع الى شجاعة الجنان والتفوق فى ضرب السنان الى بلاغة المنطق وطلاقة اللسان فكان خطيبا مصقعا وحكيما يملك ناصية الحكمة وبذلك كان علما من أعلام الاسلام وركنا ركينا للدوله الاسلامية .

شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ الا غزوة (تبوك) فأنه استخلفه النبي على المدينة . وقد اسف لذلك علي لانه يري في الجهاد فضلا لايناله القاعد وهداية من الله يطمع فيها مثل على سمعا لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ولكن الرسول الامين خفف عن علي حزنه لتخلفه عن الجهاد وقال له (اما ترضي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ؟ ؟

كان علي مقداما في الحروب فارسا في الهيجاء تهابه الفرسان وتفر من وجهه الشجعان ثبت فى جميع الغزوات بقدم البطولة وكان اول المبارزين يوم بدر وأول الثابتين يوم أحد وحنين أصابه فيه ستة عشر ضربة . وأول الفاتحين يوم خيبر وأول السابقين يوم الفتح .

هذه منزلته فى الحروب أما منزلته من العلم والفضل فحدث عنها ولا حرج وتلك آثاره باقية أبد الدهر تنطق بعلمه وفضله

اقامته بمكة بعد الهجرة

أنابه عنه ﷺ في الاقامة بعد هجرته بمكة أياما أدى فيها الامانات والودائع وقام بالوصايا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم والقوم قد تآمروا على قتله افتداه بنفسه ونام على فراشه والمشركون يظنون أنهم محاصرون النبي ﷺ حتى أصبحوا ووجدوا علياً . ثم أنابه أيضاً فى قراءة أول التوبة فى موسم الحج ايذانا ببراءة رسوله من المشركين

شخصيته ونفسيته

كان لعلي رضى الله عنه شخصية كبيرة بين الصحابة ومهابة فى النفوس لا تزاحمها مهابة ولم تكن لهذه الشخصية خطرها بين القوم الا لما امتاز به رضي الله عنه من صفات الحكمة والشجاعة والزهد والورع والعلم والحكمة . فكان أخطب العرب وأفصحهم لسانا بعد رسول الله وكان اكثرهم اقداما على الموت اذا اشتد وطيس الحرب متواضعاً سخياً متقشفاً له فى الحلم واصفح صدر واسع ومروءة لا تحد . يزينه عقل راجح ونظر ثاقب وتدبير حكيم ولين عريكة فكان بذلك مهابا محبوبا وقد أجمع المؤرخون على ان ابن ابي طالب لولا تقاه وصراحته وزهده لكان أدهى العرب

ولكنه رضى الله عنه كان لا يبطن غير ما يظهر ولا يظهر غير ما يبطن فكان مثالا صادقا للامانة والصراحة ومثلا أعلى في الحكمة ومكارم الاخلاق

كان يري فى نفسه الكفاءة لتولي أمر المؤمنين بعد الرسول الامين ولكنه صبر عليها ولو أرادها لكانت له ولكن أيثاره المصلحة العامة وجمع الكلمة دفعه الي الصبر عنها حتى جاء عمر وبعده عثمان فلم يكن الا معيناً لهما وناصراً لحكمهما مدبراً معهما الامور فى غير أنانية أو اثره . وهو يحس أنه أولى بها منه . أو أنه كفء لها كما كانوا ذوى كفاية

فشخصية بارزة ونفسية مؤدبة كشخصية علي ونفسيته لم يذكرها

التاريخ لاحد . ولو أن هذه الصورة العالية من الاباء والشمم والطهر والاثرة تكررت في تاريخ الدول لما قامت الحروب الداخلية وبقيت للامم الاسلامية قوتها وسطوتها . ولكن ذهب على بن أبي طالب . وذهبت معه تلك الخلال العظيمه. والشيم التي تزين الابطال وهى لازمة من لوازم العظماء لتدبير الشئون وسياسة الشعوب

وان ذكر التاريخ لجماعة الشيعة تغاليهم فى تعظيم على كرم الله وجهه وذهابهم الى أن الرسالة كانت له فليس في ذلك الا ما يقيم الدليل على أن علياً كان بعظمته وبطولته ساحراً للالباب جذابا للنفوس مؤثراً في الرعية .

فكانما افرغ في كل قلب فهو محبوب الي كل نفس ظهر من حجاب العظمة بمعاليه فاستولى الاضطراب علي الاذهان والمدارك وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة

أهل الذمة تحبه والفلاسفة تعظمه وملوك الروم تصوره في بيوتها وبيعها ورؤساء الجيوش تكتب اسمه علي سيوفها كانما هو فأل الخير وآية النصر والظفر .

خلافة علي

ظل المسلمون حيارى بعد قتل أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) لا يجدون لهم ملجأ ولم يكن أمامهم من يصلح للخلافة الا على فذهب وفد من أكابر الصحابة يعرضها عليه فامتنع عن قبولها وبقى (الخافقى ابن حرب) اميراً علي المدينة خمسة أيام وعلى لا يقبل البيعة .

وأبى الكوفيون الزبير والبصريون طلحة فامتنعا عن قبولها أيضاً وأهل الامصار رأوا أن رجوعهم الى الامصار بغير امام يوقع الخلف والفساد فبقوا حياري في حلكة من الامر يلتمسون نوراً ينقذهم والمسلمين من فتنة عمياء اشتد لهيبها واستعر أوارها .

فاجتمع كثير من المهاجرين والانصار وأتوا علياً يبايعونه فأبي وعلم أنه مستقبل فتنة ثائرة لا مرد لها وقال لهم (التمسوا غيري) ثم قال لهم (أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيته فانا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول) .

فناشدوه الله والدين والحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك (فأبي) فخوفوه الله في مراقبة الاسلام وأمر المسلمين حتي غلبوه (فقال أجبتكم)

ورأى المهاجرون والانصار أن البيعة لا تتم الا بطلحة والزبير لأنهما رشحا للخلافة وفى مبايعتهما لعلي اعترافاً منهما له بتنازلهما عنها فذهب جماعة اليهما واتوا بهما فبايعاه وقيل أنهما اشترطا عليه اقامة الحدود اول شرط . ثم قام القوم فبايعوه وتخلف عن البيعة جمع كبير من اكابر الصحابة في المدينة كسعد بن ابي وقاص وسعيد ابن زيد وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وأبي سعيد الخدري وحسان بن ثابت وغيرهم .

الا ان الامام رأى ان بيعته قد تمت بالاغلبية فقام وخطب الناس ودعاهم الي الخير وحذرهم الشر

لم تقف الفتنة التى اثارها المغرضون من اعداء الاسلام عند حد بعد قتل امير المؤمنين عثمان بن عفان بل اتسع الخرق واقسم المسلمون اقساما مرا تطاير شرره الي النفوس فاضطربت الاحوال .

هرب مروان وبنوا امية ولحقوا بالشام ومعهم قميص عثمان واصابع زوجته فأثاروا الشعور وهيجوا الافكار ونصبوه على منبر دمشق وقامت الناس تطلب القصاص من قتلة عثمان . وطار الخبر لمكة واتصل بام المؤمنين عائشة رضى الله عنها

اصبحت الامة مضطربة مختلفة المقاصد معاوية يرى ان البيعة لم تنعقد والامام يري انعقادها . وطلحة والزبير يرفضانها لأنهما اشترطا اقامة الحد علي قتلة عثمان والامام يقول لا قدرة لى على شيء مما تريدون حتي تهدأ الفتنة وتنظر الامور وتؤخذ الحقوق . وعائشة ام المؤمنين منادية في الناس بدم عثمان لأنها متحققة أنه قتل مظلوما في البلد الذي يأمن فيه الطير فى الشهر الحرام .

واكثر الصحابة يرون ان اول واجب على المسلمين تتبع القتلة والقصاص منهم اقامة لحد الله الذي لا يصح تأخيره مهما نتج بعد ذلك وجعلوا اقامة هذا الحد فى عنق كل مسلم .

ويذهب الثائرون الى ان عليا أهمل القصاص وانحرف عن الحق فى قتلة عثمان .

والمطلع علي هذه الفتنة الشعواء يري ان من مصائب الامام على ان تقوم في وجهه هذه المصاعب وقد ابي ان يقبل الخلافة هلعا من هول هذا الموقف ولكنه اضطر اليه اضطرارا ولا مناص من الخروج منه

اعماله فى خلافته

بدأ بتغيير عمال الامصار ولم ير رأي القائلين باستبقائهم حتي يستقر الأمر لانه رأي فيهم أنهم داعية الفرقة وسبب الشتات فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري بدل عبدالله بن عامر وعلى الكوفة عمارة بن شهاب بدل ابي موسي الاشعري . وعلى اليمن عبيدالله بن سعد وعلى مصر قيس بن سعد وكذلك الشام أرسل من يتولى أمرها غير معاوية

فأما صاحب البصرة واليمن فتسلما زمام الامر واقاما . وافترقت مصر علي اميرها ففرقة دخلت الجماعة وفرقة اعتزلت وقالت لانكون مع علي الا ان قتل قتلة عثمان

وأهل الكوفة قالوا لانريد بأميرنا بدلا فردوا عمارة بن شهاب وفعل كذلك أهل الشام وامتنع معاوية اميرهم عن مبايعة علي لانه ظن فيه هوادة فى نصرة عثمان على قاتليه ولم ير فى الامتناع عن مبايعته خروجا على الامام لعدم انعقاد البيعة لتخلف كثير من أكابر الصحابة عنها

وقد اراد معاوية اعلان عدم مبايعته فأرسل رجلا الي الامام وليس فيه شيء من الكتابه وعنوانه (من معاوية الي على بن ابي طالب) وأمره اذا قدم المدينة رفعه ففعل الرجل ولما فضه على لم يجد فيه كتابا فقال للرسول ماوراءك فقال تركت قوما لايرضون الا بالقود قال ممن ؟ قال منك . وتركت ستين الف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق فقال اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان . وقد نجا والله قتلة عثمان الا ان يشاء الله .

فداحة الخطب

﴿ والحروب الداخلية ﴾

استقر رأي طلحة والزبير وأم المؤمنين علي قصد البصرة لاستصراخ اهلها يطلبون القصاص من قتلة عثمان فصمم صاحب البصرة اولا على منعها وأراد ان يعلم هل احد في البصرة يمالىء طلحة والزبير وحين ذاك دس اليه من قال بذلك وان في البصرة انصارا لهذا الامر فخرج بمن معه واقبلت ام المؤمنين فخطبت الناس فتبعها جمع من اصحاب عثمان وخرج لها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة وقاتلهم حتى اذا ذاقو حر السلاح نادوا بالصلح حتى ينظر في الامر .

ثم امتد شرر الفتنة الي الكوفة فاستولي عليها الثائرون وقاتلهم حكيم حتي قتل كثيرا منهم ثم أقامت ام المؤمنين ومن معها بالبصرة .

كل هذا والامام بالمدينة يعبي فى جيشه الي الشام . فكان الخطب من الجسامة بحيث يصعب معه الاستقرار علي رأي فكثر الجدال فمن محرض على الخروج مع [illegible] المؤمنين ليؤدب العصاة والثائرين ومن مثبط حتي قام القعقاع ابن عمرو [illegible] أيها الناس لا بد من أمارة تنظم الناس وتنزع المظالم وتعز المظلوم وهو يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبه وهو المأمون علي الامة القضية في الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه)

ثم قال الحسن بن علي مثل هذا القول وان طلحة والزبير بايعا الامام ثم غدرا فتحمس الناس لهذا القول وخرج تسعة آلاف تحت لواء علي ومناصرته

الصلح بين المتخاصمين

لم تكن الخصومة بين جماعتى المسلمين خصومة لمال أو لخلافة وانما كانت خصومة لله كل يرى أن الآخر قصر فى حد من حدود الله فاصحاب عثمان يرون أن عليا أهمل القصاص وعلي يرى أنهم خرجوا عليه بعد مبايعة الاغلبية من الصحابة . ولكن مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يلجأ الي الحرب الداخلية بل فكر وقدر . ثم نظر وبصر ورأي أن الصلح واجب علي المسلمين فانتدب القعقاع لذلك وأرسله ليكون بينه وبين طلحة والزبير فكان نعم السفير الحكيم .

بدأ القعقاع مسألته بأم المؤمنين وقال أي أمة ! ما أقدمك الي هذه البلدة ؟ فقالت أى بني الاصلاح بين الناس .. قال فابعثي الي طلحة والزبير حتي تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت اليهما وحضرا ...

فقال القعقاع — اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فهل أنتما متابعان ؟ قالا نعم ..

قال فاخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ ؟

قالا قتلة عثمان . فان هذا الامر ان ترك كان تركا للقرآن

قال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم . قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم . . . وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ... وان قاتلتموهم والذين اعتزلوكم ... فالذي

حذرتم وقويتم به هـذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون . . . وهذا أمر دواؤه التسكين فان أنتم بايعتمونا فعلامـة خير وتباشير رحمة . وان أبيتم فعلامة شر

قالوا . أصبت وأحسنت فان رجع علي وهو علي مثل رأيك صلح الامر فرجع إلي علي وأخبره الخبر وأشرف القوم على الصلح وأقبلت الوفود من كل جهة وأصبح الـكل متفقين على الصلح .

أصبح الناس والتقى الجيشان خارج البصره وخرج الزبير على فرسه بين الجيشين فخرج اليه علي حتي اختلف أعناق دوابهما فقال علي للزبير لعمرى لقد أعددتما سلاحاً ورجالا . . ان كنتما أعددتما عند الله عـذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا . ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ! فهل من حدث أحل ذلك ؟

فقال طلحة ألبت الناس على عثمان . . ! فلعن على قتلة عثمان ثم ذكر الزبير بأشياء منها أنه قال له (أتذكر يوم مررت مع رسول الله في بني غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله ﷺ ليس بمزه لتقاتلنه وانت ظالم) .

فرجع الزبير وهو حالف أن لا يقاتل عليا وشعر بخطأ خطته ورأى أن الرجوع أولي . ثم رجع الناس والجميع لا يشكون في الصلح وباتوا بأهنأ ليلة .

غدر الدخلاء

تحقق أصحاب ابن سبأ مشعل الفتنة وموقعها أن الصلح واقع لامحالة وهو يعود عليهم بالوبال لانه ان تم كان لقتلهم فباتوا شر ليلة باتوا يتشاورون

فلم يجدوا غير انتشاب الحرب فلما كان الغلس قاموا غير أن يشعر بهم أحد وقصد مضرهم مضر البصرة وربيعتهم ربيع البصرة ويمنهم يمن البصرة واعملوا السلاح ودسوا لكل طرف من يعلن الخبر فثار كل قوم في وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقنا أهل الكوفة ليلا وسأل على فقيل له ما شعرنا إلا وقوم يعملون فينا السلاح فقال انهما غير منتهيين حتي يسفكا الدماء ونادي فى الناس أن كفوا واخرجوا أم المؤمنين في هودجها لعل الله يصلح بها الحال . ولكن الحرب استعرت وترك ابن الزبير القوم ورجع فتبعه ابن جرموز وقتله وهو يصلي بوادي السباع .

ثم انتهت المعركة وظهرت آثار الكدر علي أمير المؤمنين من هذا الحادث الذي لم يكن فيه لاحد مأرب ثم دفنت القتلي وطاف عليهم على فلما أتي طلحة قال لهفي عليك أبا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره أن أري قريش صرعى .

ثم سيرت أم المؤمنين الي مكة ورجع على الي الكوفة واتخذها مقر خلافته وارسل يدعو معاوية للدخول فيما دخل الناس فيه فامتنع حتى يقتل قتلة عثمان ويختار المسلمون لانفسهم اماما .

بين الامام ومعاوية

سار الامام لمحاربة أهل الشام وسار اليه معاوية والتقي الجيشان في صفين وتبادلا سفراء الصلح ولكنه لم يتم فتناوشا وقتا ثم دخل محرم سنة ٣٧ فعقدا هدنة مدتها شهر رغبة فى الصلح وتبودلت الرسل وانتهت المحاورات بتمسك علي بالبيعة له وتمسك معاوية بقتلة عثمان أولا ثم النظر في البيعة

ونبذ كل طرف عهد هدنته وابتدأ القتال واستمر أياما ثم رأي علي أن يهجم بكل جيشه ثم التقي الجيشان وافترقا كل غير غالب. ثم عاد للحرب فراى معاوية وعمرو بن العاص أن السآمة والملل ظهرت علي رجالهم فقال عمرو ندعوهم لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فرفعوا المصاحف علي أسنه الرماح ونادي مناد يقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور العراق بعد أهل العراق.

فلما رآها اصحاب علي اختلفوا ثم اتفقوا على إرسال رسول يسأل عما اريد من رفع المصاحف. فقالوا الرجوع الي امر الله فى كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ليعملان بما فى كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه. ورضيت الناس بهذا وانتهى الاختيار على عمرو بن العاص عن اهل الشام وابي مومي الاشعري عن اهل العراق. وكتبوا بذلك عهداً وان يجتمع الحكمان بدومة الجندل فى رمضان.

انصرف الناس ورجع على الى الكوفة وانقضى الاجل وحل رمضان واجتمع الحكمان واتفقا علي ان يخلع كل صاحبه — وخدع عمرو ابا موسى فقدمه وقال ايها الناس اني خلعت صاحبي — وقام عمرو بدوره وثبت صاحبه فلم يتم الصلح بهذا الغدر.

لم تزدد الحالة الا سوءا فانقسم جيش على واضطربت فيه الافكار فمن مشايع ومن معارض. ومن خوارج تظهر غيرما تبطن. اما معاوية فبويع بالشام على الخلافة وارسل عمرو الى مصر واستقر له الامر هناك ونظم جنده وحكومته.

وقد سئم علي ابن طالب الحرب وملّ الامارة وكانه استشعر خاصة

للراحة من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصي بضمه الى اخوانه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وقد صرح بذلك فى خطبه الاخيرة

قتل الامام على

والمؤامرة على منافسيه

اجتمع ثلاثة من الخوارج وتذاكروا ما حصل باخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى الكوفة ليقتل علياً ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمى إلي الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمر بن بكر التميمى الى مصر فيقتل عمرو بن العاص .

واتعدوا على ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه وهى صبح ليلة الجمعة لسبع عشرة خلون من رمضان فاما البرك فذهب الي معاوية وانتظره فى صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع فى اليته ولم يمته فأمر به معاوية فقتل

وأما عمرو بن بكر فذهب الي عمرو بن العاص فلم يخرج الي الصلاة لعذر أصابه واستناب خارجه بن حبيب السهمي فضربه الخارجى فقتله ظنا منه أنه عمرو وقبض عليه وقتل وضرب به المثل (أراد عمراً واراد الله خارجة)

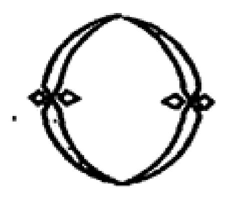
وقصد عبد الرحمن بن ملجم الكوفة وانتظر علياً فبينما امير المؤمنين ينادى الصلاة الصلاة الصلاة إذ ضربه بسيفه قائلا (الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك) فقال على (النفس بالنفس) ان هلكت فاقتلوه

وان بقيت رأيت فيه رأيي)

وصيته عند الوفاة

ثم دخل جندب فقال ان فقد ناك ولا نفقدك نبايع الحسن ؟ فقال ما آمركم ولا انهاكم أنتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء ازوا عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع واصنعا للاخرى. وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصراً واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم . ثم نظر الى محمد الاكبر بن الحنيفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال نعم قال فانى أوصيك بمثله ثم لم يزل يذكر الله حتى مات

فغسله ولداه الحسن والحسين وابن أخيه عبد الله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص



كلمة عامة

عن عهد الخلفاء الراشدين

نوع الحكومة وغايتها

لم تكن الحكومة فى الاسلام وراثية انما كانت بالانتخاب العام والشورى بين اصحاب الرأى من المسلمين وبذلك كانت الحرية فى الرأى والشجاعة من اسباب العدل الذى لم تصل اليه دولة من دول الغرب الى الآن مع كثرة القوانين ووفرة المشرعين

كما ان عهد الخلفاء الراشدين احتفظ بطابع الجهاد لله ونشر الدين بين الامصار وسمو النفس عن الانتفاع الشخصى او المجد الذاتى مما كان من أكبر عوامل اندفاع الفاتحين بقوة يقين الى الظفر والانتصار فى جميع الميادين مما لم يسبق للتاريخ تدوين مثله

العدل والقصاص

وكذلك امتاز عهد الخلفاء الراشدين بالعدل بين الرعية والقصاص ولو من أنفسهم نهاية فى الورع وتأديباً للخاصة والعامة وحفظ التاريخ لأبى بكر رضى الله عنه اما جرى بينه وبين ربيعة الأسلمى رضى الله عنه ان قال له كلمة كرهها ربيعة فقال له يا ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصاً فقال ربيعة لا أفعل فانطلق أبو بكر وجاء أناس من أسلم يطلب اليهم أن يعاونوه على أن يرد ربيعة عليه قصاصاً منه ...

فأين هذا الخلق السنى الكريم فى عدل الخلفاء ومراعاة احساس الناس بما نراه من كبرياء وغطرسة أتباع السلاطين ومحاسيب الحكام...

حفظ العهود

وتتألق صفحات تاريخ الخلفاء الراشدين بما كان من حفظ العهود وحسن معاملة الأقوام المغلوبة وظلت هذه الحالة مرعية الجانب الى عهد بنى أمية وصدر الدولة العباسية وهذا تأسياً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال من حديث « ان المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم» أى ان ما أعطاه أحدهم من عهد لا سبيل لنقضه بل يؤكده الآخر وهذه قاعدة من أسمى القواعد التى جاء بها الاسلام لحماية الأمم التى تخضع لسيادة المسلمين من أذى أرباب السيطرة ومنعهم من كل من يريد بهم سوءاً

وقد جاء عمر بن الخطاب عمير بن سعد أحد كبار الأنصار الفاتحين وقال له بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس وان أهلها يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدونا ولهم علينا عهد. ثم استشاره فى أمرهم

فقال عمر اذا قدمت فخيرهم أن تعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شىء شيئين فاذا رضوا بذلك فاعطهم اياه وأجلهم واضربها بعد ذلك. فان أبوا فانبذ اليهم وأجلهم سنة ثم اضربها.

فهذا عمر بن الخطاب أبى أن ينقض عهد هؤلاء القوم مع أنهم نقضوا عهدهم وخانوا دولة المسلمين الحاكمة عليهم ولكنه أمر عميراً

أن يتلطف معهم ويعوضهم ما يملكون . . . فان أبوا ينذرهم ويتركهم سنة . . .

وهذا تناه فى العدل لم يسمع بمثله مطلقا فى معاملة الدول الغالبة للأمم المغلوبة . فقد جرت عادة الدول الفاتحة خصوصا فى عصر المدنية الغربية أن تعامل الأمم الخاضعة لسلطانها ونفوذها معاملة الرفيع للوضيع والغالب للمغلوب ولذلك تسمع الشكوى والأنين تتصاعد من كل ناحية فى مراكش والجزاير وتونس وطرابلس وفلسطين وغيرها من ظلم الأنسان القوى القاهر لأخيه الأنسان المغلوب

وما زال الخلفاء فى كل عصر قائمين بالوفاء بعهود أهل الذمه فيما يتعلق بنوع الجزية وحماية الأموال والدماء كما جاء فى كتب العهود التى بأيديهم . ولولا ذلك ما استطاب لهم العيش فى بلاد المسلمين

الرتب والالقاب

لم تكن للرتب والألقاب وجود فى عهد الخلفاء الراشدين لتطلع الناس فى عهدهم الى مراقى المجد التى لا يبلغها الا ذوو الشمم والجد والآخذون بنواصى الحكمة السالكون مسالك الرجولة المعرضون عن زخارف المجد الباطل حتى ان الخلفاء لم يخاطبوا بغير أمرة المؤمنين وكذلك لا يخاطبون امراءهم وولاتهم بالكنى والألقاب بل كانوا لا يعرفون لها اسما ولا يقيمون لها وزنا

وقد اقتدى بالخلفاء الراشدين فى العصر الحاضر أعظم الدول الكبرى قوة فاقتضى نظام جمهورية الولايات المتحدة بتحريم الشارات والرتب

وكذلك تبعتها فرنسا وتركيا الحديثة فقد أعرضت جميعا عن تلك السفاسف من الألقاب والرتب الكاذبة المضرة بالأخلاق والتربية فنشط سكان تلك الممالك وراء المجد الحقيقي بالعلم والعمل حتى بلغوا من المجد والقوة ما تسعى الدول الأخرى الى بلوغه

ويقرر الاجتماعيون ان الرتب والنياشين من اثار الحكم الفردى وتنافى والحياه الحرة خصوصا عهد الدستور الذى يساوى بين جميع افراد الامة ويمحو اثر الطبقات ويثبت دعائم الديموقراطية الصحيحة

ولم تعرف الدول الاسلامية الألقاب الا فى عهد الدولة العباسية التى انحدرت اليها عن الاعاجم والتى كانت تذير انحلال وضعف الأخلاق وفتور الهمم والعزائم

• • •

وقصارى القول ان عهد الخلفاء الراشدين كان أزهى عصور الانسانية حيث أسسوا بناء المدنية الاسلامية الشامخ متمسكين بما جاء به الاسلام من تعاليم هى لب الشرائع ومنتهى ما تصل اليه المدنية والحضارة .



المدنية الاسلامية

رأى المنصفين من الاجانب

يتبين للباحث فى تعاليم الاسلام التى جاء بها محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين وجاهد الخلفاء الراشدون فى نشرها بين الأمم حتى رسخت واستقرت فى الاذهان انها بحق ام المدنيات التى عرفها التاريخ البشرى وان فى سرعة انتشارها فى نحو نصف قرن من المحيط الهادى الى المحيط الاطلسى معجزة الحوادث التاريخية . ولم يتأخر المسلمون بعد ذلك الا حين انصرفوا عنها واعرضوا عن ذكر ربهم ووصايا نبيهم

وقد أقر بهذه الحقائق المنصفون من علماء الفرنجة وانا لنذكر هنا بعض اقوالهم على سبيل المثال لعل الشباب المسلم يفيق من غفلته ويرجع الى دين الله القويم ويتلقى من تاريخ الاسلام وعظماء المسلمين ما يغنيه عن الترنم بمشاهير الغرب الذين لايعدون شيئا مذكورا بجانب من اسسوا ارقى مدنية عرفها الانسان

قال العلامه جيبون الفرنسى :

ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك فهى شريعة حيكت بأحكم واعلم منوال شرعى لايوجد مثله قط فى العالمين .

وقال داود اركو هارت

ان الاسلام دين لايأمر باتباع عقائد جديدة ولايقول بانزال

وحى جديد وليس فيه كهنوتية او معابد سياسية بل فيه دستور الأمم ونظـــام الممالك

وقال ليون روين

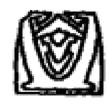
لم اذكر شيئا فى قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعا فى الدين الاسلامى بل انى عدت الى الشريعة التى رسمها سيمون وسماها الشريعة الطبيعة فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية اخذا .

ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طـــرا .

الأولى فى قول القرآن (انما المؤمنون اخوة) فهـــذا اجمل مبادىء الاشتراكية

والثانية فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق اخذها غصبا ان امتنع الاغنياء عن دفعها طـــوعا وهذا علاج الفوضوية

ثم قال ولو ان هذا الدين وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم ارقى العالمين واسبقهم فى كل الميادين



قادة الحـــرب والسياسة

في عهـــد الخلفاء الراشـــدين

لم يكن الخلفـاء والملوك فى أى زمن الا كالرأس المفكرة . والقواد والوزراء والانصار هم العـاملون على قلب الدول وتطورها ، وان كانت عادة التـاريخ ان يقدم الملوك فى الذكر عـلى سواهم من الرجال الا انه لاينسى المنصفون مطلقاً العظماء من القادة الذين لعبوا الادوار الهـامة فى الحـــرب والسياسـة . والذين كانت لهم اليد الطـولى فى النصر والظفـر وبسط السلطان والنفـوذ ، ونشر العقيدة والقانون . وسريان الآراء والمبادىء واللغة الى الجهات التى تم فيهـا الظفر . ودخلت تحت لواء الأمـة الغـالية

حلقات التاريخ متشـابهة . والخلفاء الراشدون فى صدر الاسلام تم على أيديهم من الفتح والانتصار ، واعلاء كلمة الدين ، ونشر ألوية الاسلام فى البلاد المتقاربة والمتنائية . مالم يرجـــع فى الحقيقة الى بطولتهم وشخصيتهم فحسب ، بل انه يرجـع ايضـاً الى حزم الامراء والقواد الذين كانوا مثلا أعلا فى الحكمة والعدالة واصالة الرأى ومنتهى الكياسة والحزم والتوفيق فى حسن الرعاية والسياسة . لذلك نرى لزاما أن نسطر بعد تاريخ الخلفاء الراشـدين خلاصة وجيزة عن أظهر هؤلاء الرجال شخصية ، واكثرهم عملا فى ميدان المجد والعظمة

خالد بن الوليد

اشهر قائد حربى عرفه التاريخ منذ الخليقة الى الآن فقد أوتى من الذكاء والحنكة فى فنون الحرب ما لم يؤت غيره من القواد العظام حتى أن شخصيته الفذة تدرس فى معاهد التعليم الحربى باكثر البلاد المتمدينة فى مقدمة أبطال الحرب

اسلامه وصحبته

أسلم خالد فى العالم الثامن للهجرة وقد فرح النبي والمسلمون بأسلامه

وقد انفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جيش من المسلمين لا يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل الى مشارف الشام لغزو الروم الذين كان عددهم لا يقل عن مائتى الف مقاتل .

وكان مع الجيش زيد بن أبي حارثه فقتل فأخذ الراية بعده جعفر ابن أبى طالب فاستشهد أيضافتولاها عبد الله بن رواحة فسقط شهيداً فاتفق المسلمون على رفع الراية لخالد فأخذها .

ثم حمل خالد على الأعداء بقوة وحماسة سرت منها قوة نشاط الى الجيش حتى خيل للأعداء أن خالداً يوشك أن يكتسح جيشهم بمفرده وظل هكذا يصول ويجول الى أن خيم الظلام وقد أصابته فى يومه هذا تسعة أسياف فى يده لم تفل من عزمه ولم تهز من قوته

وفى الصباح الباكر غير أوضاع الجيش فتوهم العدو أن مددا قد جاء جيش المسلمين وتقابل الجيشان واقتتلا وثبت المسلمون وتخاذل العدو وما زال خالد يحاربه بجيشه حتى عاد منتصراً

وفى هذه الواقعة المشهودة سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله وما زال خالد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يده اليمنى ورمزاً للقوة والبسالة حتى جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه

فى عهد أبى بكر

بعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وجمت النفوس وذهلت العقول حتى خيل أن دين الاسلام قد انتهى بوفاة نبيه ولكن حزم أبى بكر مزودا بسيف الله خالد بن الوليد قضى على الفتنة فى مهدها فقام خالد الى المرتدين بسيفه البتار حتى استقر الأمر فى نصابه وعاد الاسلام الى قرابه

فتح العراق

ولما فرغ خالد من حرب أهل الردة وافاه كتاب الخليفة بالزحف على العراق ملك الاكاسرة فتلاقى مع هرمز فى جيش كثيف من عمالقة الفرس فطلب اليه المبارزة واضمر له المكر والخديعة وما أن برز قائد الفرس حتى انقض عليه خالد فقتله تحت وابل من أسنة الفرس واختل توازن الجيش ووقع القتل فى صفوفه ودخل خالد العراق فاتحا حتى ملك زمامه فى الجنوب ثم توجه شمالا الى نجدة عياض بن غنم الذى بعثه أبو بكر لفتح شمال العراق فاتم معه الفتح والنصر

فتح الشام

وارسل ابو بكر الى خالد ليتوجه الى الشام لنجدة المسلمين فيها وقال كلمته (خالد لها) فنظر خالد الى اقرب طريق الى الشام فلم يجد

الا اختراق البادية ولكن اصحابه صاحوا فى وجهه وقالوا انها مهلكة المهالك ولكن خالدا لا يعرف محالا واقتحمها وطلع على جيش المسلمين بالشام فكانت معجزة المعجزات حتى قرر مؤرخو الافرنج ان هذه الجرأة اعجب من اختراق انيبال جبال الألب وقد اظهر خالد من الهمة والجرأة وحسن التدبير مادعى الى ان تسلم القيادة العامة للجيش بنفسه

عزل خالد

وفى وسط المعارك الحاميه فى يوم اليرموك جاء البريد من المدينة ينعى وفاة ابى بكر ويخبر باستخلاف عمر ومعه امر بعزل خالد ابن الوليد واسناد الامارة الى ابى عبيدة بن الجراح فكتم ابو عبيدة وخالد هذا حتى تم النصر للمسلمين وفتح خالد دمشق وكتب لأهلها عهدا

وبعد عزل خالد من الأمارة استمر يحارب فى صفوف المسلمين بجندى حتى اتم الله فتح الشام على يد المسلمين وكانوا يستمدون منه الرأى ويقدمونه على امرائهم وقت الحاجة .

حتى ان ابا عبيدة بن الجراح سلم خالدا القيادة فى قنسرين ولما فتحت وانتهى الخبر الى عمر قال (امر خالد نفسه يرحم الله ابابكر كان اعلم منى بالرجال)

وعزل خالد قد يثير الدهشة ولكن عمر بن الخطاب علل سبب عزله حين قال له (ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس فخفت ان تفتتن بالناس)

وفاة خالد

واختار خالد بعد فتح الشام ان يسكن حمص فاتخذها مقرا له حتى واقاه الأجل المحتوم فى سنة ٢١ من الهجرة فى خلافة عمر فدفن بها

وحين حضرته الوفاة قال (لقد شهدت مائه زحف او زهاءها ومابقى بجسدى موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها أنا أموت على فراشى كما تموت العير فلا نامت اعين الجبناء وما من عمل ارجو من لا اله الا اللهالا الموت وانا مترس بها)

كتب خالد

ولم يكن خالد بن الوليد من رجال الحرب والسياسة فحسب بل كذلك كان من العظماء البلغاء وله كتب كثيرة نأتى منها بواحد على سبيل المثا وهو ما كتبه الى ملوك الفرس بعد تدويخ ملكهم فى العراق وهذه صورته

(أما بعد) فالحمد لله الذى حل نظامكم ووهن كيدكم وفرق كلمتكم ولو لم تفعل ذلك كان شراً لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجيزكم الى غيركم والا كان ذاك. أنتم كارهون على أيدى قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

كلمة عن خالد بن الوليد

ولو أن قائداً من قواد الشرق فى العصر الحاضر عزل من القيادة فى وسط معركة والجيوش معجبة به لما تردد فى الدعوة الى الانقسام طلباً للرياسة والمجد الكاذب، ولكن قواد الاسلام ما كانوا ينظرون إلا إلى الغرض الأسمى نشر ألوية السلام وتثبيت قواعد الاسلام وتعاليمه، ولذلك تطوع خالد بعد ذلك فى الحروب ولم يرجع عن معاونة القواد وهذا غير مانراه الآن فى العالم الشرقى ، فان القواد والزعماء يهلكون الأمة من ورائهم بما يطلب كل لنفسه من الرياسة ومظاهر الحكم . وهذا نتيجة الضعف الأخلاقى وتزعزع العقيدة وغلبة الهوى . فأين خالد بن الوليد الذى أتاه جواب العزل من القيادة فى واقعة اليرموك ، تلك الواقعة التى كانت الفاصلة بين العرب والروم فى الشام . فلم تزعزع قناته ولم تفل عزمه . اتفق وأبو عبيدة على تكتم خبر وفاة الخليفة وتغيير القيادة ليتم لهم الظفر . وقد تم لهم الانتصار وانهزم العدو شر هزيمة

أقول : أين خالد اقوى الناس والايمان شديد العزمة من غيره فهو يصبر فى أحرج المواقف وأشدها حلكة حتى يفوز جيش المسلمين ثم هو بعد ذلك يكون ملازماً للقيادة العامة مستشاراً لها لايرى فى ذلك مساساً بمركزه بل يعده مفخرة له أن يطيع أمر أمير المؤمنين وأن يكون كجندى من الجنود المحاربة

أين خالد هذا من قواد الشرقيين الذين إذا عزل أحدهم عكف على الراحة والسكينة وقبع فى قعر داره ، ولكن همة خالد وقوة بطولته تأبى عليه أن يكون قائدا عاطلا .

أبو عبيدة بن الجراح

اذ ذكرنا التاريخ خالد بن الوليد وتوفيقه فى الحرب فلا ينسى ما لعبيدة بن الجراح من المكانة العظمى فى الرأى والدهاء السياسى وحنكة الحرب والطعان وقد اعترف بذلك المؤرخون فقال غير واحد منهم (داهيتا قريش ابو بكر وابو عبيدة بن الجراح)

اسلامه وصحبته

أسلم أبو عبيدة مع السابقين للأسلام فكان قويا فى دينه صادقا في صحبته حتى سماه النبي صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة

وليست هذه المرتبة الا مما ترفع مكانة صاحبها وتتجلى امانة ابو عبيدة بن الجراح فى تصرفاته تبدو فى نتائج اعماله

قتل ابو عبيدة اباه فى واقعة بدر وكان مع المشركين امانة لدينه ورعاية لعقيدته وفيه ويقينه نزلت الآية (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا اباءهم او ابناءهم)

وقدم وفد من نجران على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ابعث لنا من يأخذ لك الحق ويعطيناه فقال والذى بعثنى بالحق لأرسلن معكم القوى الامين

قال ابو بكر فما تعرضت للأمارة غيرها ورفعت رأسى لأريه نفسى فقال (قم يا ابا عبيدة) فقام ابو عبيدة وشهد له عمر بن الخطاب فقال لو ادركت ابا عبيدة ابن الجراح لاستخلفته وما شاورت

فأن سئلت قلت استخلفت امين الله وامين رسوله .
وشهد ابو عبيدة المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن ثبت يوم احد وعده المحدثون من علية الصحابه واعاظمهم وهاجر الى المدينة ثم الى الحبشه ثم الى المدينة

حروبه وفتوحاته

ابلى ابو عبيدة فى عهد ابى بكر رضى الله عنه بلاء احسنا حين ولاه قيادة جيش الشام ففتح دمشق بعد ان حاصرها سبعين يوما وكان فتحه من جانبه صلحا بدهائه ومن جانب خالد عنوة

ثم توجه الى شرق الاردن فهزم جيوش الروم ثم استولى على حمص وبعلبك ثم عاد الى نجدة عمرو بن العاص فى واقعة اليرموك حتى تم النصر للمسلمين وقصد بعد ذلك حماه فصالحه اهلها ثم فتح حلب وانطاكية وغيرها من البلدان .

وقد أرسل الى عمر بن الخطاب بانباء فتوحه فارسل اليه أن أتم فتح بلاد سورية ففتحها حتى بلغت الفرات شرقا وأسيا الصغرى شمالا .

وكلما فتح بلدا أقام عليه عاملا ورتب المرابطة والجيوش وبسط على أهلها الرأفة والعدل حتى استشعر الأهالى الفرق بين الحكم الاسلامى وحكم الروم .

وبحكمة ودهاء أبى عبيدة تمكن من أن يتخذ من سكان البلاد أنصاراً له وقوة لتؤيد فتوحه وتركيز دعائمه حتى أجلى الروم نهائيا عن تلك الاصقاع

أخلاقه وسيرته

كان هذا البطل فى الحرب والسياسة مع ما وفق اليه من فتوح وظفر بالاعداء متواضعاً زاهداً رزينا لين الجانب

وقد قال عمر بن الخطاب يوما لجلسائه تمنوا .. فتمنوا فقال عمر لكنى أتمنى بيتا مملوءا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح

وقال عبد الله بن عمر ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها وأحسنها أحلاما واثبتها جنانا أن حدثوك لم يكذبوك وان حدثتهم لم يكذبوك أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبو عبيده بن الجراح

ومع ما كان عليه أبو عبيدة من قوة السلطان ونفوذ الكلمة فأنه لم يكن لتظهر عليه مظاهرها . وقد قدم عمر بن الخطاب الشام حين قدم ليرى البلاد التى فتحها المسلمون .

فقابل أمير المؤمنين أمراء الاجناد وعظماء الشام فقال أمير المؤمنين أين أخى ؟ قالوا من ؟ قال أبو عبيد الجراح .

ثم جاء أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه ثم قال عمر للناس انصرفوا عنا وسار معه الى منزله فنزل عليه فلم يجد فى بيته الا سيفه وترسه فقال عمر أين متاعك ؟

لا أرى الا لبدا . وصحفة وشنا وأنت أمير ؟ . أعندك طعام ؟ فقام أبو عبيدة الى سلته فأخذ منها كسيرات ... فبكى عمر وقال غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة ..

وصيته

لما اشتدت وطأة المرض عليه قال لمن حضر (اقرأوا أمير المؤمنين السلام واعلموه ان لم يبق من أماناتى شىء الا وقمت به وأديته اليه الا ابنة خارجة نكحت فى يوم بقى من عدتها لم أكن قضبت فيها بحكومة وقد كان بعث الى بمائة دينار فردوها اليه ثم قال ادفنونى حيث قضيت ثم دعا من حضره من المسلمين وقال

انى موصيكم بوصية ان قبلتموها لن تزالوا بخير .. أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان و تصدقوا وحجوا واعتمروا وتواصوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا فأن امرءاً لو عمر الف سنه ما كان له بدمن أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون الله كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون وا كيسهم أطوعهم له واعملهم ليوم معاده والسلام عليكم ورحمة الله .. يامعاذ بن جبل صل بالناس . ومات ..

وفاته وسببها

فى سنة ١٨ هجرية ظهر الطاعون فى الشام فاجتاح السكان وكان أبو عبيدة فى ستة و ثلاثين الف مقاتل من المسلمين فلم يبق منهم الا ستة آلاف رجل و مات به كثير من الاعلام منهم أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبى شعبه وتوفى فى فحل وهو قاصد بيت المقدس وكان سنه ٥٨ سنة

كلمة عن أبي عبيدة

لم يكن التاريخ الاسلامى فى العصر الأخير بالمتداول أو المطروق فى معاهد التعليم ولذلك لا يكاد اكثر خاصة المسلمين فضلا عن عامتهم يضع اسماء ابطال الاسلام موضعهم اللائق ببطولتهم وجهادهم بين اسماء العظماء . كلما ذكرت البطولة والأبطال

فهذا أبو عبيدة بن الجراح كان مرشحا للخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذى رشحه لهذا المنصب الجليل الشأن ابو بكر الصديق رضى الله عنه يوم خطب الأنصار وحذرهم الفرقة والانقسام فقال فى آخر خطبته :

(انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين ابى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما)

ويذكر التاريخ لأبى عبيدة مواقف مشهودة من ذلك نصحه لعلى بن ابى طالب حين فكر فى تولى الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردده عن مبايعة أبى بكر عليها لأنه كان يرى انه أولى بها منه . فقال له ابو عبيدة (يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا أرى ابا بكر الا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واستطلاعا فسلم لأبى بكر هذا الأمر فان طال بقاؤك فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك) فاستمع له الامام على ولم يغضبه ما قال

وهذه وصية أبى عبيدة رضى الله عنه ينبه فيها المسلمين الى التواصي

بالحق والنصيحة للأمراء والتحذير من غشهم فقال : (وتواصوا وانصحوا أمراءكم ولا تغشوهم)

ولو ان المسلمين عملوا بهذه النصيحة لما فسد الأمر فى القرون الأخيرة ولبقى للأمراء عزهم وللاسلام قوته لأن الله ميز هذه الأمة بالتواصى بالحق فقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وهل الأمر بالمروف الا النصيحة التى هى اكبر دعائم الحكم الصالح اذ فيها التنبيه الى مواضع الخطأ فيحذره الأمراء

وقد عرف ذلك علماء الاجتماع فقام على هذا الاساس فى الأمم الدستورية احزاب المعارضة للتواصى بالحق والنصح للحكام

ولعل هذه الوصية الذهبية لأبى عبيدة بن الجراح تلقن فى معاهد التعليم وتذاع بين الطالبين ليروا أن ابا عبيدة بن الجراح فى الصدر الأول من الاسلام . كان عليما بشئون الحياة خبيراً بأسباب القوة والعظمة ولم يكن ما نراه من حرية الرأى ومصارحة ولاة الأمور بدعة فى المجتمع وحياة الأمم

والذى يزيد فى قيمة وصيه ابى عبيدة بن الجراح انه حين حضرته الوفاة لم يغفل ان نبه المسلمين بل والأمم جمعاء الى ضرورة نصيحة الأمراء والتحذير من غشهم . ولن يتم ذلك الا اذا قامت التربية على اساس الصراحة وبث الشجاعة وحرية الرأى فى الأفراد ولا عجب فالرجل الحق لا يستطيع السكوت على الباطل وبذلك جاءت رسالة الاسلام وعمل عليها الخلفاء الراشدون وقوادهم الاماثل

عمرو بن العاص

فاتح فلسطين ومصر

أصله ومنبته

داهية من دواهي العرب وقائد من كبار قادتها له في السياسة القدح المعلى وهو من أسرة عريقة في المجد كانت تتولى في الجاهلية الفصل في الخصومات بين العرب وامتد نفوذها الى رئاسة الأموال الخاصة بآلهتهم

اشتغل عمرو في بدء حياته بالتجارة فسافر الى الشام والحبشه ومصر وقد اكسبته تنقلاته قوة ملاحظة ضاعفت من استعداده فكان بذلك الرجل السياسي المجرب .

اسلامه وصحبته

اسلم عمرو في العام الثامن الهجري وحسن اسلامه بعد أن تحقق صدق دعوة الرسول الأمين وقد كان حسن الصحبة محبوبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبعثه الرسول عليه الصلاة والسلام الى ملكي عمان جيفر وعباد ليدعوهما الى الاسلام في شهر ذي الحجة من السنة التي أسلم فيها فقام بمهمته لديهما خير قيام

وتفصيل ذلك طويل في كتب السير الا انا نستخلص منه انه حمل

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان (١) فقابل عباداً وكان أصغر من أخيه جيفر واحلم واسهل خلقا منه . فسأله عباد عن حاجته فأجابه عمرو انى رسول رسول الله اليك والى أخيك. ثم قال إن أخى مقدم على فى الملك وأنا أوصلك اليه كى تقرأ كتابك عليه

ثم أخذ يتحدث الى عمرو عن هذا الدين وتعاليمه فأجابه عمرو بما اشتهر به من الابانة فى القول واقامة الحجة حتى اقنعه وقد أعجب عباد فيما أعجب به مافرضه الاسلام على الأغنياء من صدقات تعطى للفقراء

وقابل عمرو جيفر بعد ذلك فأظهر الكبر والتردد الا أن أخاه عباد حذره الرفض واقنعه بالدخول فى الاسلام فاقتنع بذلك وأسلم الملكان وأسلم قومهما معهما

ثم ولى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عمرو جباية الصدقة فى عمان وبقى فيها حتى وفاته صلى الله عليه وسلم

عمرو وفتوحاته

فى سنة ١٥ من الهجرة أرسل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وشرحبيل الى أهل بيسان نافتتحاها وصالحا أهل الاردن ثم اجتمع

نص كتاب رسول الله الى ملكى عمان (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعباد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فأنى ادعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فأنى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان لم تقرا بالاسلام فأن ملككما زائل عنكما

عسكر الروم بغزة واجنيدين وبيسان . وكان قائد جيش الروم داهيتهم أرطبون ومركز قيادته اجنادين وحشد قوات كثيرة بايليا وجندا عظيما غيرها بالرملة

فلما بلغ عمر رضى الله عنه الخبر قال قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب يعنى عمرو بن العاص فانظروا عم تنفرج ؟؟

ثم برز عمرو بدهائه فدفع معاوية الى ان شغل أهل قيسارية وعلقمة ابن حيكم الغراسى على ايليا فشغلوا بقتاله وجعل أبا أيوب المالكى على من بالرملة وتفرغ هو الى ارطبون باجنادين وقد منعت عنه الامدادات لانشغال النواحى بما داهمها من جيوش المسلمين

وسار عمرو اليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول ففطن له الارطبون وقال لاشك أن هذا هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه فأمر أن يقتل عند عودته وفطن عمرو لتدبير الارطبون ثم قال له بعد أن حاوره واستشف قوته لقد سمعت منك وسمعت منى وقد وقع لك منى موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمرو اليك فارجع اتيك بهم الآن فأن رأوا الذى عرضت على الآن فقد رآه الأمير وأهل العسكر وإن لم يروه رددتهم الى مأمنهم فقال نعم وبهذا رد الرجل الذى أمره بقتله عنه

فخرج عمرو من عنده وعلم الرومى انها خدعة اختدعه بها فقال هذا أدهى الخلق ثم قاتله عمرو بعد أن ادرك موضع ضعفه فانهزم أرطبون وفر الى ايليا وافسح المسلمون الطريق له فدخل بيت المقدس

ثم لم يقف عمرو عند نصره على الارطبون بل فتح غزة ثم سبطية ونابلس بأمان على الجزية وفتح لد وتبنى وعمواس وبيت جبرين ويافا

ثم فتح عمرو مرج عيون ولما تم له ذلك أرسل الى ارطبون ببيت المقدس رجلا يتكلم الرومية ومعه كتاب فلما رفع به اليه وسط وزرائه قال ارطبون لا يفتح عمرو من فلسطين بعد اجنادين شئيا ثم قال ان صاحبها رجل صفته كذا و كذا ووصف أمير المؤمنين عمرا بن الخطاب فارسل عمرو بذلك الى امير المؤمنين وطلب اليه القدوم لفتح بيت المقدس وباقى فلسطين فقدم عمر بن الخطاب وفتحت له ابوابها بلا حرب

فتح مصر

فى سنة ١٨ هجرية عرض عمرو بن العاص على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فتح مصر لما يعلمه عن خيراتها وسهولة أخلاق أهلها وما يشعرون به من كراهية الروم واختلف المؤرخون والرواة فى سبب زيارة عمرو لمصر قبل الاسلام فمن قائل فى تجارة ومن قائل غير ذلك وخلاصة القول انه ادرك بذكائه وفطنته أن فتح مصر لا يكلفه عتاداً كبيرا وقد صح عزمه على ذلك واقنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأذن له فى أربعة آلاف مقاتل وقال له سر وأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتى كتابى اليك سريعا ان شاء الله تعالى فأن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها فانصرف وان أنت دخلت قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره

حيلة لعمرو

وقد بدأ عمرو بن العاص حيلته بالمضى فى طريق الفتح فتمشى بجيشه القليل من منتصف الليل دون أن يعلم به أحد

وتخوف أمير المؤمنين على المسلمين من كثرة الروم واستعدادهم فكتب إلى عمرو أن ينصرف هو ومن معه وأدركه الكتاب وهو برفح وحذر عمرو بن العاص أن أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل له أنها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين .

ثم قال أتتم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال أن أمير المؤمنين عهد الى وأمرنى أن لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع وإن لم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر نسير ونمضى على بركة الله .

المعارك الحربية

وهنا بدأ عمرو بن العاص فتحه مصر واستعداده لخوض المعارك واتصل خبر زحف العرب على مصر الى المقوقس والى الروم عليها فاستعد لذلك ووقعت الموقعة الأولى فى موضع يسمى الفرما على مقربة من بلبيس وقاتل الروم العرب فيها قتالا شديداً نحوا من شهر الا أن النصر حالف جيش المسلمين فانهزم الروم وتراجعوا

أما أهالى الفرما فلما وجدوا النصر حالف المسلمين أعلنوا طاعتهم لعمرو واستعدوا لمعاونته . وكذلك أعلن أسقف الاسكندرية أهلها أن الروم قد ذالت دولتهم فاستعد الاسكندريون لمقابلة العرب

أما المعارك التى نشبت بين عمرو وجيوش الروم بعد ذلك فكانت

خفيفة حرصاً من القائد عمرو بن العاص على دماء المسلمين واستغل لصالحه ما كان من النفرة والشقاق بين السكان وحكامهم الروم

وبعد الفرما توجه الى بلبيس ففتحها بعد موقعة اشتد فيها الروم الا انهم أنهزموا ثم أتى أم دنين فقاتله الروم فيها قتالا شديداً

ولما أبطأ عليه الفتح كتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة الاف فسار بجيشه الى باب اليون وحاصر القصر - ولكن أبطأ عليه الفتح أيضا فطلب النجدة فأمده عمر بأربعة الاف وقال له انه صار معك اثنا عشر الفا وان منهم رجال الواحد مقام الألف الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت

موقف الزبير بن العوام

وطال أمد حصار المسلمين للقصر مدة ستة أشهر حتى قال الزبير بن العوام أنى لأهب نفسى لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن ثم صعد وأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوا جميعا فما شعروا الا والزبير فوق رأس الحصن يكبر ومعه السيف ثم توالى تصاعد الجند على السلم فلما اقتحم الحصن الزبير ومن معه وكبر وكبر الجيش من الخارج لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموه جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه ودخله الجيش مكبراً ظافراً

طلب الصلح

وشعر المقوقس بعد بضرورة الصلح ونصحه به عقلاء القبط فطلبه من

عمرو على أن يفرض للعرب على القبط ديناراً على كل رجل منهم فأبى عمرو هذا فطلب اليه المقوقس أن يرسل رسلا للمفاوضة . فبعث عمرو ابن العاص عشرة من رجاله أحدهم عبادة بن الصامت وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وان لآ يقبل أى صلح الا على واحدة من ثلاث خصال اما الاسلام أو الجزية أو الحرب

وهنا وقف عبادة بن الصامت موقفا يذكره التاريخ له بالفخار كمفاوض حريص على أن يبلغ الخير الذى يرتجيه أميره الذى بعثه ثم انتهى بعد بالصلح على الجزية

وأرسل عمرو الى أمير المؤمنين يعلمه بفتحها فكتب اليه موافقا على أن يكون خراجها فيئاً للمسلمين وقوة لهم على الجهاد

وهكذا كانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين عن كل رجل الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد

فتح طرابلس الغرب

لم تقف همة عمرو بن العاص عند فتح مصر بل وجه نظره بعد أن استتب له الأمر فى ارض الفراعنة الى فتح طرابلس الغرب وبرقة فسار عمرو فى جيش كبير الى برقة اولا فصالحه اهلها على الجزية

ثم سار الى طرابلس الغرب وكان الروم قد استعدوا لقتاله فيها لحاصرها شهرا فلم يظفر بها فأرسل بعض رجاله يتلمسون مسلكا فخرج رجل من بنى مدلج فى سبعة نفر وسلكوا غربى المدينة فلما رجعوا لحظوا ان سور المدينة لم يكن متصلا بالبحر والبلد فدخلوا اليها من

ذلك الجانب وكبروا فلما سمع الروم التكبير هلعوا لذلك وأيقنوا ان العرب هاجموهم ففروا الى السفن وسمع عمرو ومن معه الصياح والتكبير ورأوا السيوف فى المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل البلد فلم يفلت من الروم الا القليل

وبعد فتح طرابلس أرسل جيشه الى سيرة ولم يكن أهلها يعلمون بفتح طرابلس فوصل جيش المسلمين اليها صباحا وقد فتحها أهلها وأخرجوا المواشى لتسرح فدخل المسلمون الحصن وسلمت المدينة عنوة واقتداراً

ثم عاد عمرو الى برقة ليثبت دعائم فتحه فى طرابلس وأرسل الى امير المؤمنين بما تم له من الفتح فجاءه كتاب يامره بأن لا يتقدم اكثر من ذلك

فى خلافة عثمان

وفى سنة ٢٥ﻫ سير عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن ابى سرح الى اطراف افريقيا غازيا بأمر عثمان وكان عبد الله من قواد جند مصر فلما سار اليها أمده عمرو بالجنود فغنم هو وجنده وكتب بذلك الى عثمان

بعض دهائه

فى سنة ست وعشرين ولى عثمان عبد الله بن أبى سرح مصر وطلب عمرو ابن العاص الى المدينة ووضعه موضع الثقة منه فيمن دعاهم لاستشارته فيما يضع لاخماد الفتنة التى استعرت وقد ظهر دهاء عمرو فى نصيحته

الذهبية التى وجهها الى امير المؤمنين عثمان بن عفان حيث كان قد اشتد عليه الأمر وقد آلمت عثمان نصيحته ولكن سرعان ما لطف من وقعها بسياسته ومن هذه النصيحة قوله :

(يا أمير المؤمنين انك قد ركبت الناس بنى أمية فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل او اعتزل فان أبيت فاعزم عزما وأمض قدما)

فقال عثمان اهذا ما نجده منك ؟ فسكت حتى تفرق الناس ثم قال والله يا أمير المؤمنين لأنت اكرم على من ذلك ولكنى علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فأردت ان يبلغهم قولى فيثقوا بى فأرد اليك خيراً وادفع عنك شراً ...

عمرو ومعاوية

قتل عثمان وبويع على بن أبى طالب بالخلافة بعده وتردد معاوية فى البيعة وأشار اصحابه عليه ان يتخذ عمرو عضداً له اذا تخلف عن بيعة على فأرسل فى طلبه فلما قدم اليه دعاه الى جهاد على ...

فقال والله يا معاوية ما انت وعلى على حملى بعير ليس لك هجرته ولا سابقته فى الاسلام ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه والله ان له مع ذلك حظا فى الحرب ليس لأحد غيره ... ولكنى قد تعودت من الله تعالى احسانا وبلاءاً جميلا فما تجعل لى ان شايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الضرر والخطر؟!

قال معاوية حكمك . قال عمرو مصر طعمة

فتلكأ معاويه وقال يا عبد الله اما تعلم ان مصر كالعراق أى ان العراق فى يد على ومصر فى يد عمرو فما يبقى لمعاوية ؟

فلما حضر عتبة بن ابى سفيان قال لمعاوية اما ترضى ان تشترى عمرا بمصر ؟ وبات تلك الليلة عند اخيه فاسمعه بالليل ابياتا يقول فيها :

ايها المانع سيفا لم يهز | انما ملت على خز وقز

الى أن قال

واسحب الذيل وبادر فوقها | وانتهزها ان عمراً انتهز
اعطه مصر او زده مثلها | انما مصر لمن عز فبز
ان مصرا لعلى او لنا | يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية ذلك ارسل الى عمرو ووعده مصر

فرجع عمرو الى عبد الله ابنه فقال له قد اخذنا مصر ، فقال وما مصر ؟ فى سلطان العرب ؟ فقال له لا أشبع الله بطنك اذا لم تشبعك مصر !!

بين على ومعاوية

لعب عمرو دوراً سياسيا خطيرا بين على ومعاوية حين اشتد الخلاف بينهما وانقسم المسلمون ودارت رحى الحرب التى كانت فاتحة الشر والانقسام على المسلمين

ولا نريد من الاشارة الى هذا الدور السياسى الذى كان يطلبه عمرو الا الدلالة على سعة عقله وذكائه ودهائه

وخلاصة ما ذكره المؤرخون فى هذا الموضوع ان ارتضى على

ومعاوية حكمين ليحقنا دماء المسلمين فأرسل على ابا موسى الأشعرى واختار معاوية عمرو بن العاص . ولما اجتمع الحكمان قال ابو موسى يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الألفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين

فقال عمرو ان للكلام أولا وآخرا ومتى تنازعنا الكلام والخطب لم نبلغ آخره حتى ننسى اوله فاجعل ماكان من كلام نتصادق عليه فى كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وقال له اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيئا يأمرك به أحدنا حتى تستأمر فيه الآخر فاذا أمرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا فاكتب

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه ابو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص تقاضيا على إنهما يشهدان ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ...) الى ان قال

ونشهد انا أبا بكر خليفة رسول الله ... عمل كيت وكيت حتى قبضه الله

ثم قال كذلك عن عمرو ... اكتب ... ثم قال عن عثمان كذلك الى ان قال انه كان مؤمنا

فقال ابو موسى ليس هذا مما قعدنا له ... قال عمرو لا بد والله من ان يكون مؤمنا او كافرا قال ابو موسى اكتب . .

ثم قال عمرو فظالما قتل عثمان او مظلوما ؟؟ قال ابو موسى بل قتل مظلوما ... قال عمرو أفليس قد جعل الله لولى المظلوم سلطانا يطلب بدمه ؟

قال أبو موسى نعم قال عمـــرو للكاتب اكتب . وأمر أبو موسى فكتب

ثم قال أبو موسى هذا أمر حدث فى الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى أمر يصلح الله به أمة محمد ...

قال عمرو ما هو ؟ قال أبو موسى قد علمت ان أهل العراق لا يحبون معاوية أبدا وان اهل الشام لا يحبون عليا أبدا فهل نخلعهما ونستخلف عبد الله بن عمر ؟؟

قال عمرو أيفعل ذلك عبد الله بن عمر ؟ قال نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل . ثم أظهر عمرو موافقته على ذلك وقال :

لنخرج الى القوم ونخلع عليا ومعاوية فوافق أبو موسى عمرو فى ذلك ثم خرجا فقال أبو موسى تقدم يا عمرو فقال عمرو لابى موسى خدعة له . . أنت اكبر منى سنا والسابق فى الاسلام فأنت أولى بالتقدم منى

فخرج أبو موسى وقال بعد أن حمد الله وأثنى على رسوله انه خلع عليا ومعاوية ثم نزل . فخرج بعده عمرو وقال خلعت عليا وأبقيت صاحبى

وافترق القوم على هذا فلحق أبو موسى بمكة وأما عمرو بن العاص فتوجه هو وأهل الشام الى معاوية فبايعوه بالخلافة ثم اعطى معاوية عمرو مصر وفاءاً بوعده

فصاحته و بلاغته

كان عمرو بن العاص فصيحا بليغا حتى ان المستشرقين من علماء الفرنجة أقروا ان كتابه فى وصف مصر لعمر بن الخطاب من اكبر آيات البلاغة والبيان وهذا نصه :

اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر تربة غبراء وشجرة خضراء طولها شهر وعرضها عشر ، يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر . يخط وسطها النيل المبارك الغدوات ميمون الروحات . تجرى فيه الزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر

له أوان يدر حلابه ويكثر عجاجه وتعظم أمواجه فتفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا فى صغار المراكب وخفاف القوارب وزوارق كأنهن المخايل ورق الأصايل

فاذا تكامل فى زيادته نكص على عقبه كأول ما بدا فى جريته وطمى فى درته فعند ذلك تخرج ملة محفوره يحرثون بطون الأرض ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النماء من الرب لغيرهم ما سعوا من كدهم فناله منهم بغير جدهم

فاذا أحدق الزرع وأشرق سقاه الندى وغذاه من تحت الثرى . فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء اذ هى عنبرة سوداء فاذا هى زمردة خضراء فاذا هى ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما يشاء

والذى يصلح هذه البلاد وينيرها ويقر قاطنها فيها ان لا يقبل قول خسيسها فى رئيسها وان لا يستأدى خراج الثمرة الا فى أوانها

وان يصرف ثلث ارتياعها فى عمل جسورها وترعها فاذا تقرر الحال مع العمال فى هـذه الاحوال تضاعف ارتياع المـال والله تعالى موفق الملك والمآل .

ومن أقواله فى :

خطبة لأهل مصر

يا معشر الناس. اياى وخلالا اربعاً فانها تدعو الى النصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العز

اياى وكثرة العيال وانخفاض الحال وتضييع المـال والقيل بعد القال فى غير درك ولا نوال

وثم انه لا بد من فراغ يأول المرء اليه فى توديع جسمه والتدبير لشأنه وتخليته بين نفسه وبين شهواتها فمن صار الى ذلك فليأخذ بالقصد والنصيب الأقل ولا يطيع المرء فى فراغه نصيب نفسه من العلم ليكون من الخير عاطلا ومن حلال الله وحرامه عادلا

يا معشر الناس قد تدلت الجوزاء وركبت الشعرى وأقلعت السماء وارتفع الوَفاء وطالب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت السمائم وعلى الراعى حسن النظر فحى بكم على بركة الله على ريفكم فتناولوا من خيره ولبنه ومرافقه وصيده واربعوا بخيلكم واسمنوها وصونوها واكرموها فانها جنتكم من عدوكم وبها تنالون منافعكم واثقالكم واستوصوا بمن جاورتم من القبط خيراً وأياى والمومسات المفسدات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم

حدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ان الله سيفتح عليكم بعد مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة فكفوا أيديكم وفروجكم وغضوا أبصاركم . فلأعلمن ما أتانى رجل قد أسمن جسمه وهزل فرسه . واعلموا انى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن أهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك.

واعلموا انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولأشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة) .

حدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض) فقال له أبو بكر ولم ذلك يا رسول الله قال (لأنهم فى رباط الى يوم القيامة)

فاحمدوا ربكم يا معشر الناس على ما أولاكم واقيموا من ريفكم ما بدا لكم . فاذا يبس العود وسحق العمود وكثر الذباب وحمض اللبن وصوح البقل وانقطع الورد فحى على فسطاطكم على بركة الله . ولا يقدمن أحد منكم على عياله الا ومعه تحفة لعياله على ما أطاق من سعته أو عسرته

ومن فصاحته قوله لمعاوية حين شاوره فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان أبوه أحد فرسان على فى صفين

فأشار عليه عمرو أن يقتل عبدالله فرأى معاوية العفو عنه فخرج عمرو مغضباً وكتب اليه

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... وكان من التوفيق قتل بن هاشم
أليس أبوه يا معاوية الذى ... أعان علينا يوم حز الغلاصم
فقتلنا حتى جرى من دمائنا ... بصفين أمثال البحور الخضارم
وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه ... وتوشك ان تلقى به جد نادم

كلمات حكيمة

ومن أقواله المأثورة - امام عادل خير من مطر وابل . وأسد خطوم خير من امام ظلوم . وامام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم

ومن غرر أقواله - موت الف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة

وفاة عمرو

أدركت عمرو المنية يوم عيد الفطر سنة ٤٣ هجرية بمصر فى خلافة معاوية وقد تجاوز السبعين من عمره وقيل الثمانين ودفن فى المقطم

وكان آخر ما قاله اللهم امرتنا فركبنا ونهيتنا فتركنا ولا تسعنا الا مغفرتك وما زال كذلك حتى مات.

عبادة بن الصامت

صفحة مجيدة من المحاورات السياسية

عبادة بن الصامت احد رجالات المسلمين وشجاع من شجعانهم صحابى جليل امتاز بقوة العارضه وطلاقة اللسان وسعة البيان وكان رئيس اعضاء الوفد الذى اوفده عمرو بن العاص الى المقوقس والى مصر من قبل الروم ليعرض عليه ما يطلبه الجيش الاسلامى

ومن الوفاء لهذا البطل الكبير أن نسجل له ما دار بينه وبين المقوقس مما كان له الفضل الأول فى اتمام الصلح على ما يريد المسلمون بل وكانت هذه المحادثة حداً فاصلا بين مصر القبطية الخاضعة للروم وبين مصر الاسلامية التى لا يزال يتألق فى سمائها مجد الاسلام وهى الآن زعيمة العالم الاسلامى بما أسبغ الله على اهلها من وفرة الذكاء وقوة الايمان وسعة العلم

طلب المقوقس من عمرو بن العاص ان يرسل اليه رسلا يتداعى واياهم الى ما عسى ان يكون فيه صلاح للفريقين

فبعث عمرو بن العاص عشرة رجال احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة أشبار وأمره عمرو ان يكون متكلم القوم وان لا يجيبهم الى شىء سوى خصلة من ثلاث الاسلام . الجزية . الحرب

وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه اسود فلما دخل واصحابه على المقوقس تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عنى هذا

لاسود وقدموا غيره ليكلمنى فقالوا ان هــذا الاسود أفضلنا رأياً علما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا . وانا نرجع جميعا الى قوله رأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره

فقال المقوقس تقدم يا اسود وكلمنى برفق فانى اهاب سوادك وان اشتد على كلامك ازدد لك هيبة

فتقدم عبادة وبدأه الحديث فقال :

سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابى الف رجل اسود وكلهم أشد سواداً منى وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وانى مع ذلك والحمد لله ما أهاب مائة رجل من عدوى ولو استقبلونى جميعا . وكذلك اصحابى وذلك لاننا انما رغبتنا وغايتنا الجهــاد فى الله تعالى لا رغبة فى الدنيا ولا طلبا للاستكثار منها

الا ان الله قد أحل لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من الذهب ام كان لا يملك الا درهما لأن غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى فى طاعة الله واقتصر على هذا

ان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك امرنا ربنا وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا فيما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضا ربه وجهاد عدوه

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندى من منظره وان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب البلاد ... وما أظن ملكهم الا سيغلب على الأرض كلها

ثم أقبل المقوقس على عبادة وقال له : ايها الرجل قد سمعت مقالتك وما ذكرته عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرته ولا ظهرتم على ما ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة من لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل .

وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد قمتم بين ظهرنا شهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرأف عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ونحن نطيب أنفسنا على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مايه دينار ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصرفوا الى بلادكم قبل ان يغشاكم ما لا قوة لكم به

فقال عبادة بن الصامت يا هذا : لا تغرن نفسك ولا اصحابك . أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ان كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك أعذر لنا عند ربنا اذ اقدمنا عليه ان قتلنا عن آخرنا . لان ذلك أمكن لنا فى رضوانه وجنته وما من شىء أقر لأعيننا ولا أحب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ على احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا

ان ظفرنا بكم او غنيمة الاخرة ان ظفرتم بنا وانها لاحب الخصلتين بعد الاجتهاد منا وان الله تعالى قال في كتابه العزيز (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

وما من رجل الا ويدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لا يرده الى بلده ولا الى اهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه وأهله وولده

وأما انتا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا لنا ما أردنا لأنفسنا منها اكثر مما نحن فيه . فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك فى باطل بذلك أمرنى الأمير وبها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا

فاما ان أجبتم الى الاسلام الذى هو الأمين الذى لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم وان أبيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون

نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وتعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذا كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد الله

علينا وان أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا او نصيب منكم ما نريد

هـــذا ديننا الذى ندين لله به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره . فانظروا لأنفسكم

هذه فصاحة عبادة بن الصامت وبلاغته وقوة حجته وشجاعته فليتلوها شبان المسلمين ورجاله الذين تهزهم النخوة الاسلامية للسير فى طريق الألى فتحوا الامصار ونشروا راية الاســلام خفاقة فى جميع البلدان

وفى المثل من أحب الموت وهب الحياة .. ومن أحب الحيــاة أقبل عليه الموت بصنوف الذلة والمهانة ..

وعبادة بن الصـــامت من الابطال الذين حاربوا المرتدين فى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه وله تاريخ مجيد حافل بالشجاعة والبلاغة فليرجع اليه من أحب التزود منه فى كتب التاريخ الاسلامى



أبو عبيد الثقفي

ابو عبيد بن مسعود الثقفى صحابى جليل وقائد من قواد المسلمين الذين أبلوا فى الجهاد لنشر دين الله بلاءاً حسناً برز فى ميدان الحرب والشجاعة ابان غزو الفرس فقد قام عمر ابن الخطاب رضى الله عنه غداة ولايته الخلافة يدعو الى تجهيز جيش لفتح الفرس فخطب الناس قائلا :

(ان الحجاز ليس لكم بدار الا على النجعة ولا يقوى عليه أهله الا بذلك أين الطارء المهاجرون عن موعود الله سيروا فى الأرض التى وعدكم الله بها فى الكتاب ان يورثكموها فانه قال (ليظهره على الدين كله) والله مظهر دينه و معز ناصره ومولى أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟

فكان أبو عبيد بن مسعود الثقفى أول منتدب وثنى سعد بن عبيد وسليط بن قيس فلما اجتمع ذالك البعث قيل لعمر أمر عليهم رجلا من المهاجرين أو الأنصار فأبى وقال ان من سبق الى الدفاع وأجاب الى الدعاء أولى بالرياسة

ثم أمر أبا عبيد على الجيش وقال له اسمع من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأشركهم فى الأمر ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذى يعرف الفرصة والكف

ثم خرج أبو عبيد فى آخر جمادى الأولى سنة ١٣ هجرية ومعه سعد بن عبيد وسليط بن قيس والمثنى بن الحارثة الشيبانى فتقدمهم المثنى الى الحيرة وكانت الفرس استقر رأيها على ان يتولى الملك فيها بوران الذى دعى رستم وأسند اليه مهمة حماية البلاد والدفاع عنها

واخذ رستم فى اعداد جيوشه فارسل الى كل رستاق رجلا يؤثر بأهله فبعث جابان الى فرات وبعث نرسى الى كسكر واتصل نبأ ذلك الى المثنى فضم اليه مسالحه واجتمع المسلمون به ونزل الى خفان حتى نزل بها ابو عبيد الثقفى فالتقى معه بجند الفرس واقتتلوا بالنمارق قتالا شديدا فهزم الله اهل فارس وأسر جابان مطر بن فضة التيمى واسر اكتل بن شماخ مروانشاه وقتله

مبدأ قويم

وخدع جابان مطر بن فضة التيمى الذى أسره ووعده بشىء يعطيه له فأمنه وخلى عنه فأخذه المسلمون فأتوا به أبا عبيد وأخبروه ان هذا جابان الملك وأشاروا عليه بقتله .

فقال أبو عبيد أنى أخاف الله أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم والمسلمون فى التواد والتناصر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم . فأعادوا القول انه الملك وانه هو الذى حارب المسلمين . فقال وان كان لا أغدر . . ثم تركه

فهذا مبدأ قويم يتجلى فيه احترام القواد لعهود رجالهم ولو من عامتهم لما يشعرون به من المساواة والتكافؤ والاحترام التام ولم تكن

للرياسة عندهم مستوى أرفع من المستوى العادى . وهذا سر من أسرار نجاح المسلمين فى فتوحاتهم لانهم كانوا على قلب رجل واحد

فتح جديد

لما انهزمت جنود جابان من النمارق ولحقت بكسكر التى يتولى القيادة فيها أمير من الاسرة الكسروية اسمه نرسى تابعهم أبو عبيد بجيوشه الظافرة . وفى الوقت الذى كان الفرس ينتظرون الامداد داهمهم أبو عبيد فى مكان يدعى السقاطيه واقتتل الجيشان قتالا شديداً ودارت فيه الدائرة على الفرس وهرب قائدهم

ثم سرح أبو عبيد قواده الى اخضاع ما حوله حتى أخضعوا جميع قواد الفرس الذين تقدموا الى أبى عبيد وصالحوه على شيء معلوم

عفة أبى عبيد

لما تم الصلح بين أبى عبيد و بين فروخ وفرونداذ أمر القائدان بآنية فيها أنواع من الأطعمة الفارسية من الالوان والأخبصة وغيرها مما تعودته موائدهم ودعوا أبا عبيد اليها وقالوا هذه كرامة أكرمناك بها

فقال أبو عبيد أأكرمتم الجند وأقريتموهم مثله ؟؟

فدهش القائدان لهذه الروح العالية وعفة النفس التى لا يرى بها القائد الأعلى للجيش أن له حقا يزيد عن بقية جنوده حتى فى الطعام والشراب ثم قالا لا ونحن فاعلون .

فقال أبو عبيد لا حاجة لنا فيما لا يسع الجند وقام من فوره وقال

بئس المرء أبو عبيد ان صحب قوما من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه أو لم يهرقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه لا والله لا يأكل مما أفاء الله عليهم الا مما يأكل أوساطهم ..

وكان أثر هذا الاحساس الشريف والنفس العالية داعيا الى محبة الجند لقائدهم والتفانى فى طاعته كما يتفانى هو فى اكرامهم واعزازهم

فهل يقرأ هذا المتصدرون الآن للزعامات والرياسات ويقيسون ماكان عليه قواد المسلمين فى الصدر الاول من الورع والزهد وما هم عليه الآن من الخيلاء والانكباب على ما يستطاع من مظاهر الفخر والابهة الكاذبة والاثرة والأنانية.

خاتمة حياة

ورحل أبو عبيد من السقاطية وقدم المثنى فى قبيلته حتى قدم الحيرة وكان الجالينوس رجع الى رستم ومعه من أفلت من جنوده واستحثه على مقابلة المسلمين فوجه بهمن جازويه ومعه راية كسرى وكانت من جلود النمر وأقبل أبو عبيدة حتى نزل بالمروحة على ضفة النهر المقابلة للضفة التى فيها معسكر الفرس

وبعث اليه بهمن جازويه إما أن تعبروا الينا وندعكم والعبور واما أن تدعونا نعبر اليكم فأشار عليه القواد بعدم العبور وكان أشدهم تمسكا بهذا الرأى سليط بن قيس . فأبى أبو عبيد وقال لا يكونوا اجرأ على الموت منا وعبر النهر ومعه المسلمون

والتقى الجيشان وعملت سيوف المسلمين فى جيش الفرس حتى

أوشكت تدور عليهم الدائرة لولا انه لما نظرت الخيـــول الى الفيلة والخيل عليها التجافيف رأت شيئا منكراً لم تكن رأت مثله من قبل فلم تقدم عليهم

ولما حملت الفرس على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت خيولهم ونفـرت منهم واشتد الأمر على المسلمين فترجل أبو عبيدة ونادى احتوشـوا الفيلة واقطعوا بطانها واقلبوا عنها أهلها ووثب هـو على الفيل الابيض فقطع بطانه ووقع الذى عليه وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا أصحابه وأهوى الفيل لأبى عبيد فضربه أبـ عبيد بالسيف وخبطه الفيل بيـــده فوقع . فوطئه الفيل وقام عليه .

فلما بصر به الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم فتحمس الناس حتى غقدوا الجسر وعـــبروهم ثم عبروا فى آثارهم فأقاموا بالمروحة وقد أصيب المثنى بجراح وقتل سليط بن قيس

ثم اخذ اللواء الذى أمر به فقاتل الفيل حتى تنحى عن ابى عبيد فأخذه المسلمون فاحرزوه ثم قتل الامير الذى بعد أبى عبيد وتتابع سبعة أنفس من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت ثم أخذ اللواء المثنى بن حارثة فهرب عنه الناس

فلما رأى عبد الله بن مرشد الثقفى مالقى ابو عبيد وما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه وقال .

أيهـــا الناس موتوا على مامات عليه امراؤكم او تظفروا وحاز

المشركون المسلمين الى الجسر فتواثب بعضهم الى الفرات فغرق من لم يصبر

وأسرع المثنى وفرسان من المسلمين لحماية من صبر وقال انا دونكم فاصبروا ولا تدهشوا ولا تفرقوا انفسكم لحمى الناس حتى عقدوا الجسر وعبروهم ثم عبروا فى آثارهم فأقاموا بالمروحة وقتل سليطا بن قيس الذى نصح ابا عبيد بعدم العبور

وهكذا مات البطل أبو عبيد رضى الله عنه شهيد الشجاعة والاقدام والشمم فى ظرف كان غيره يرى السلامة فى الاستماع لرأى قواده ولكنه ابى ان يكون اقل شجاعة من الفرس واقداما منهم على الموت

ولما بلغ نعيه الى عمر بن الخطاب اشتد عليه الأمر وقال رحم الله ابا عبيد لو كان عبر فاعتصم بالخيف او تحيز الينا ولم يستقل لكنا له فئة .



سعد بن ابي وقاص

قائد عظيم من قواد الخلفاء الراشدين أتم الله على يديه فتح العراق وبلاد الفرس وله من الشهرة الذائعة والقدم الراسخة بين الصحابة الا كرمين ما تتعطر به صحف التاريخ وحسبه انه كان أحد الستة المرشحين للخلافة بعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

نسبه

يتصل نسب سعد بن أبي وقاص بالنبي صلى الله عليه وسلم من ناحية امه آمنة فى جده عبد مناف ومن جهة أبيه عليه الصلاة والسلام مع كلاب بن مرة ، فسعد بن مالك (ابو وقاص) ابن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وهو بذلك من اعاظم قريش ، ومن سادتهم

اسلامه وسطاته

كان سعد من السابقين فى الاسلام وهو من شجعان العرب المعروفين وذوى الثراء الكثير وأول من أراق دما فى سبيل الله وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ومن العشرة المبشرين بالجنة

صحبته

صحب سعد النبي صلى الله عليه وسلم وتحمل فى سبيل ذلك ان

خالف والدته التي طلبت اليه أن يعود الى الشرك فأبى وفيه نزلت الآية الكريمة (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)

وشاهد سعد وقائع بدر وأحد والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلى يوم أحد بلاءاً عظيما وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض

ومما يروي عن شدة تعلقه برسول الله صلى الله عليه وسلم ماروى ان عائشة رضى الله عنها قالت : سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبان مقدمه المدينة ليلة فقال (ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة) فبينما نحن كذلك اذ سمعنا خشخشة بسلاح فقال من هــذا ؟ فقالوا سعيد بن ابى وقاص فساله الرسول عليه الصلاة والسلام ماالذى جاء بك ؟ فقال سعد وقع فى نفسى خوف على رسول الله فجئت أحرسه . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت عائشة فنام حتى سمعت غطيطه

فى عهد أبى بكر

كان سعد بن أبى وقاص فى عهد أبى بكر من المجاهدين الابرار فقد حارب اهل الردة وأبلى فى ذلك بلاءاً حسنا ولا ريب ان له والقواد الذين ساهموا فى اطفاء نار الفتنة فضل امعان جيوشهم القليلة فى احشاء بلاد العرب وجابوا انحاءها القاصية حتى بلغوا مشارف الشام والجزيرة شمالا وشطوط البحر الهندى جنوبا والعراق العربى وخليج فارس شرقا وشطوط البحر الاحمر ومضيق باب المندب غربا -

وقد نتج عن ذلك كله ان وقعت هيبة الاسلام فى قلوب العرب وانه الدين الحق الذى لا يفلح مناوئه. وبذلك اجتمعت كلمة العرب على توحيد الله والجهاد فى سبيل اعلاء كلمته

فى عهد عمر

بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعداً لصدقات هوازن وكتب اليه بانتخاب ذوى النجدة والسلاح فجاء كتابه وعمر يستشير أهل الشورى فيمن يبعثه لحرب العراق بعد أن عدل عن الخروج اليها بنفسه رضى الله عنه طوعا لمشورة أصحاب الرأى من المسلمين

اما كتاب سعد الذى وصل عمر وهو فى مجلس الشورى فجاء فيه (قد انتخبت لك الف فارس كلهم ذو نجدة ورأى وصاحب حيطة يحفظ حريم قومه اليهم انتهت احسابهم ورأيهم). ولما وصل كتاب سعد وهم كذلك قال بعض المسلمين قد وجدته . قال فمن ؟ قال الاسد عاديا . قال من هو ؟ قالوا سعد . فانتهى الى قولهم وأرسل اليه فقدم فأمره على حرب العراق .

فتح العراق

وأوصى عمر رضى الله عنه سعدا بعد أن ولاه امارة الجيش لفتح العراق فقال (يا سعد سعد بنى وهيب لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله عز وجل لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن فان الله ليس بينه وبين

أحد نسب الا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منذ بعث الى ان فارقنا لزمه فالزمه فانه الأمر)

هذه عظتى اياك ان تتركها وان رغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

ثم لما أراد أن يسرحه دعاه فقال (انى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فانك تقدم على امر شديد كريه لا يخلص منه الا الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عادة عتاداً فعتاد الخير الصبر واعلم ان خشية الله تجتمع فى امرين فى طاعته . واجتناب معصيته وانما اطاعة من اطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة . لا تزهد التحبب الى الناس فان النبيين قد سألوا محبتهم وان الله اذا أحب عبداً حببه واذا أبغض عبداً ابغضه فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس)

مسير سعد

خرج سعد ومعه اربعة آلاف مقاتل منهم ثلاثة آلاف من اليمن والف من غيرهم وكان فيهم من السراة وزعماء العرب عدد وافر منهم حميضه بن النعمان البارقى وشداد بن ضمعج الحضرمى وعمرو ابن معديكرب ويزيد بن الحارث وشرحبيل بن السمط الكندى من صناديد العرب وقادتها

شيعهم عمر رضى الله عنه الى الأعوص وهناك خطبهم خطبة أمرهم فيها بالعدل والرحمة. ثم سار سعد بن اجتمع لديه من الجنود حتى نزل زرود من ارض العرب مما يلى العراق وأمده عمر بأربعة آلاف مقاتل ووافاه الاشعث بن قيس فى الف وسبعمائة وأخذ جيشه يتزايد عدده بما انضم اليه من جند العراق حتى بلغ ثلاثين الف مقاتل.

وارتحل عن زرود وكتب اليه عمر ان ابعث الى فرج الهند رجلا ترضاه يكون بحياله ويكون رداء لك من شىء اتاك من تلك التخوم فبعث المغيرة بن شعبة فى خمسمائة مقاتل

ولما بلغ سعد شراف نزل وكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فجاءه كتاب فيه (امر على الناس اجنادهم وعبهم وواعدهم القادسيه).

فقام سعد بذلك وقدر الناس وعبأهم تعبئة تشبه بسائر ترتيبها تعبئة الجيوش فى العصر الحاضر. ولا غرابة فقد أخذ لكل ظرف عدته وسد الثغور واستوثق من معرفة أحوال البلاد وقوة العدو وكفاءة قواده.

ثم جاءه المعنى بن حارثة اخو المثنى وأخبره بوفاة اخيه وهو يحارب الفرس ووصيته لسعد ومؤداها أن لا يقاتل عدوه من أهل فارس فى عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود أرضهم مما يلى بلاد العرب فترحم على المثنى واهتم بوصيته

ووافى سعد كتاب عمر بوصية بما أوصاه به المثنى وان يتيقظ لخديعة الفرس وأمره بالصبر والثبات

وارتحل سعد ونزل بعذيب الهجانات وقدم امامه زهرة بن الحوية الى القادسية فلم يجد فيها جنداً من الفرس فأخذ يبث السرايا للغارة والارهاب والقادسية على حافة البادية وحافة سواد العراق

الموقعة الأولى

ذهبت سرايا سعد هنا وهناك ليأتوا له بأخبار العدو فلما جاوزوا السليحين سمعوا جلبة فكشوا حتى حاذوهم واذا أخت ازاد مرو بن ازاد بن مرزبان الحيرة تزف الى صاحب الصنين وهو من أشراف العجم فحمل بكير بن عبد الله الليثى امير السرية على شيرزاد بن ازادبه فدق صلبه وطارت الخيل على وجوهها وأخذ المسلمون الاثقال وآنية أزاد به فى ثلاثين من أمراء الدهاقين ومائة من التوابع ومعهم ما لا يدرى قيمته من الغنائم فاستاق ذلك ورجع به وأتى سعداً فقسم ذلك على المسلمين

ومكث سعد شهراً بالقادسية لم يأته أحد من الفرس وخيله تغير بالاطراف وتأتى بغنائم كثيرة حتى اخصب المسلمون

وهذه الغنائم الكثيرة لم يزد جيش سعد الا زهداً فى الدنيا كما وصفه بذلك بعض من كان مع سعد للحجاج بن يوسف بقوله: ما رأينا قط أزهد فى الدنيا منهم ولا أشد بغضا لها وكانوا أبراراً أتقياء ليس فيهم جبان ولا غدار .

وقد تأذى أهل السواد من تكرار الغارات عليهم من العرب فابلغوا ذلك الى يزدجرد طالبين اما أن يحميهم بجيوش الفرس أو

يسلموا بأيديهم. فأرسل يزدجرد الى رستم ليشخص الى ميادين القتال فاعتذر رستم وأشار بارسال الجالينوس ثم غيره وغيره على ان يبقى هو فى الدوله ليعطى الشورى

فأبى يزدجرد الا أن يسير رستم فسار فى ستين الف مقاتل ومعه الجالينوس وفى ساقة الجيش عشرين الفا ثم أن سعدا علم ان كسرى ولى رستم الدفاع عن العراق ومعه مائة الف مقاتل فكتب بذلك الى عمر رضى الله عنه

وجاءه كتاب عمر يقول فيه (لا يكربنك ما تأتيك عنهم ولا ما يأتونك به واستعن بالله وتوكل عليه وابعث اليه رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجا عليهم .

سياسة المفاوضة

وعهد سعد الى سياسة المناظرة والمفاوضة وهى دائما اذا طلبها القوى كانت وبالا على الضعيف وذلك لان كتاب عمر بن الخطاب أشار فيه الى آن أبعث له من اهل المناظرة والرأى والجلد وتجلت مهارة سعد وبعد نظره فى فتح باب المفاوضة واختيار المفاوضين

أرسل سعد نفراً من كبار العقول وأمرهم أن يأتوا يزدجرد فخرجوا من المعسكر واستلذنوا على يزدجرد فأذن لهم فدخلوا وقد احضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ومايقوله لهم.

واجتمع الناس ينظرون الى مندوبى جيش المسلمين وتحتهم خيولهم

وعليهم البرد وبأيديهم السياط وأحضر الترجمان وقال سلهم ماجاء بكم وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا ؟

كلمة النعمان بن مقرن

فقال النعمان بن مقرن لأصحابه ان شئتم تكلمت عنكم ومن شاء آثرته فقالوا تكلم . فنظر الى يزدجرد وقال ان الله رحمنا فأرسل الينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه منها فرقة ثم أمر أن نبتدىء الى من خالفه من العرب فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط وطامع فازداد فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق ثم أمرنا أن نبتدىء بمن يليهم من الأمم فندعوهم الى الانصاف فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزية فان أبيتم فالمناجزة فان اجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وان بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم

وكانت هذه الاجابة لها دوى فى رؤوس من حضرها وسمعها لانها صادرة عن قوة وعزم وايمان .

فقال يزدجرد انى لا أعلم امة فى الارض كانت اشقى ولا أقل عدداً ولا اسوأ ذات بين منكم قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفونا امركم ولا تطمعوا أن تقدموا لفارس فان كان غرور لحقكم

فلا يغرنكم منا وان كان الجهد فرضنالكم قوتا الى خصبكم واكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم

كلمة المغيرة بن زرارة

وقام المغيرة بن زرارة الاسدى وقال ايها الملك ان هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم اشراف يستحيون من الاشراف وانما يكرم الاشراف ويعظم حقهم الاشراف وليس كل ما ارسلوا به قالوه ولا كل ما تكلمت به أجابوك عنه فجاوبنى لأكون الذى ابلغك وهم يشهدون على ذلك.

فأما ما ذكرت من سوء الحال فهى على ما وصفت وأشد ثم ذكر من سوء عيش العرب وارسال الله النبي نحو قول النعمان ثم قال اختر ان شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وان شئت فالسيف او فاسلم فتنجى نفسك.

فقال يزدجرد وهو غاضب لولا ان الرسل لا تقتل لقتلتكم ثم استدعى بوقر من تراب وقال احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من المدائن فقام عاصم بن عمرو الكتانى ليأخذ التراب وقال انا اشرفهم وسيدهم ثم لما عاد الوفد الى سعد قال له ابشر أعطانا الله اقاليد امورهم

ابتداء المناجزة

ثم أن يزدجرد صرح لرجاله انه لم يكن يعلم ان العرب بلغت هذا من الشدة والثقة بالنفس ثم أن رستم أخذ فى المطاولة كما أخذ جيش

سعد فى الاغارة فأغار عمرو بن الحارث على النهرين فاستاق مواشى كثيرة وعاد فنحرها سعد وقسمها على الجيش كما أغارت سرية اخرى فأصابت ابلا وهكذا كلما جاءت الجيوش بغنائم قسمها بينهم

تردد رستم ومحاولته الصلح

أما رستم فسار من ساباط وجمع جموعه ونزل بالنجف ثم سار الى القادسية ووقف العتيق بحيال عسكر سعد ثم صعد حتى انتهى الى القنطرة فتأمل المسلمين وأرسل الى زهرة فوافقه وأراد أن يصالحه ويجعلوا له جعلا على أن ينصرفوا

فقال زهرة ليس أمرنا أمر أولئك انا لم نأتكم لطلب الدنيا انما طلبنا وهمتنا الآخرة وقد كنا كما ذكرت الى أن بعث الله فينا رسولا فدعانا الى ربه فأجبناه فقال لرسوله انى سلطت هذه الطائفة على من لم يدن بدينى فأنا منتقم بهم منهم اجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين بى وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد الا ذل ولا يعتصم به أحد الا عز .

قال رستم ما هو ؟ قال انعموده الذى لا يصلح الا به فشهادة أنه لا اله الا الله ومحمداً رسول الله . قال وأى شىء؟قال اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله والناس بنو آدم وحواء اخوة لأب وأم

ثم ان رستم شعر بقوة الدين وانه غالب بأمر الله فحدث قومه فى ذلك ولكنهم أبوا فطلب الى سعد أن يرسل اليه رجلا يكلمهم

شجاعة الرأى

فدعا سعد جماعة ليرسلهم اليه فقال له ربعى بن عامر متى نأتهم

جميعا يروا اننا احتفلنا بهم فلا نزدهم على رجل ، فأرسله سعد وحده

فحبسوه على القنطرة واعلم رستم بمجيئه فاظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المشربة بالذهب.

وأقبل ربعي على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب . فلما انتهى ألى البسط قيل له انزل فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما . فقالوا ضع سلاحك فقال لم آتكم لأضع سلاحى بأمركم . انتم دعوتمونى فاخبروا رستم

فقال ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا الا أفسده وهتكه فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط فقيل له ما حملك على هذا . قال انا لا نستحب الجلوس على زينتكم . فقال له الترجمان ما جاء بكم ؟

قال . الله جاء بنا وبعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه الى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا . ومن أبى قاتلناه حتى نقضى الى الجنة او الظفر .

فقال رستم سمعنا قولكم وأرجوا ان تؤخروا هذا الأمر حتى تنظر فيه قال نعم ومما سن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا نمكن الأعداء اكثر من ثلاث فانظر فى أمرك او المنابذة فى اليوم الرابع الا ان تبدأ بنا وانا كفيل بذلك عن اصحابى .

قال رستم أسيدهم انت ؟ قال لا . ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير ادناهم عن اعلاهم

ثم خلا رستم برجاله وقال أسمعتم كلاما قط اعز وأوضح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله ان نميل الى دين هذا الكلب اما ترى ثيابه ؟ فقال ويحكم لا تنظروا الى ثيابه بل انظروا الى الرأى

مبعوث جديد

وعند الصباح أرسل رستم الى سعد ابعث الينا الرجل فبعث اليهم حذيفة بن محصن فأقبل فى نحو من ذلك الذى سبق ولم ينزل عن فرسه ووقف على رأس رستم راكبا فقال له انزل قال لا أفعل

فقال ما جاء بك ولم يجىء الأول قال له ان أميرنا يحب أن يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى . ثم سأله رستم عما جاء بكم فأجابه مثل صاحبه الأول فقال رستم المواعدة الى يوم ما قال نعم ثلاثا من أمس موعده ،

وعاد الى قومه لينظروا ولكنهم أبوا أيضا فلما جاء الغد أرسل الى سعد ابعث الينا رجلا . فبعث المغيرة بن شعبة داهية القوم فى عصره فأقبل اليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم مفروشة لا يصل الى صاحبهم حتى يمشى عليها فأقبل المغيرة حتى جلس موضع رستم على سريره .

فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه فقال قد كانت تبلغنا عنكم الاحلام ولا أرى قوما أسفه منكم انا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا فظننت انكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذى صنعتم ان تخبرونى ان بعضكم أرباب بعض وانى لم آتكم ولكن دعوتمونى

واليوم علمت انكم مغلوبون وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

فلما سمع القوم هـذه اللهجة من المغيرة بن شعبة سرت فيهم روح الاباء وفهموا ما ترمى اليه الديانة الاسلامية وغاية المسلمين من فتح البلدان وغزوها وهو تحريرها من الرق والعبودية التى رسخت فيها أجيالا يتحكم الملوك فى الرعايا ومعاملتهم معاملة العبيد وصاح عامة الفرس الذين حضروا هذا الجدل وقالوا صدق العربى. وقال الرؤساء لقد انتهى أجل سيادتنا وسينزع بعد اليوم عبيدنا الى المساواة بنا

حرب القادسية

وحاول رستم اقناع قومه بقبول الصلح والدخول فى دين العرب ولكنه وجد منهم الاصرار على الرفض فلم يجد حيلة له فى تجنب الحرب واضطر الى خوض غمارها ولذلك قال لرسل سعد أتعبرون الينا أم نعبر اليكم ؟ فقالوا اعبر الينا

اليوم الاول

وعبر الفرس نهر العتيق وجلس رستم على سريره وأعد الغيلة ورتب جناحى الجيش وقلبه وساقته

وأخذ المسلمون أهبتهم وتولى كل قائد لواءه ووقفوا صفوفهم وكان أميرهم سعد بن أبى وقاص اصابته قروح وعرق النساء فلا يستطيع ركوب الخيل ولذلك انكب على وجهه فى صدره وسادة على سطح

القصر يشرف على الجيش منه وما نقص ذلك من شجاعته ولا قل من حماسته .

وأمر سعد الناس بقراءة سورة الانفال وهى سورة الجهاد فلما قرئت هشت قلوبهم وعيونهم وأنزلت عليهم السكينة . ثم قال لهم الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فاذا صليتم فانى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فاذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم فاذا كبرت الثالثة فكبروا وينشط فرسانكم الناس فاذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة الا بالله .

فلما كبر سعد الثانية برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج اليهم من الفرس أمثالهم واشتد الضرب والطعن وبرز غالب بن عبد الله الاسدى فخرج اليه هرمز وكان من ملوك التاج فأسره غالب وجاء به سعداً ورجع .

وبرز عاصم بن عمر التميمى وطارد فارسا فانهزم فتبعه عاصم حتى خالط صفهم فحموه فأسر عاصم رجلا على بغل وعاد به واذا به خباز الملك ومعه من طعام الملك وخبيصه فأتى به سعداً .

وخرج فارس طالب البراز فبارزه عمرو بن معدى كرب فأخذه وجلد به الارض فذبحه وأخذ سواريه ومنطقته وهكذا اشتد النزال بين فرسان المسلمين وفرسان الفرس والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة وكبر سعد الرابعة وزحف اليهم المسلمون ورحى الحرب قد اشتعلت ولحظ سعد ان الفيلة تنفر الخيل فنادى فى رجال قومه أما عندكم حيلة لهذه الفيلة ؟قالوا بلى والله ثم نادى ذبوا ركبان الفيلة عنهم

بالنبل ثم قال يا معشر الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها و كذلك فعلوا فما بقى فيل الا وعوى وقتل صاحبه وظل كذلك القتال الى أن غربت الشمس .

اليوم الثانى

ولما أصبح القوم وكل سعد بالقتلى والجرحى من ينقلهم فسلم الجرحى الى النساء ليقمن عليهم وأما القتلى فدفنوا على شرف . ثم طلعت نواصى الخيل من الشام واذا بها مدد من أبى عبيدة بن الجراح والامير عليه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وكان من الشجعان المشهورين

ثم بدأت المناوشات بفرسان العرب تهاجم الفرس وتبارز صناديدها فأسروا وقتلوا كثيرا منهم ودارت الحرب بعد أن كبر المسلمون وزحفوا على الفرس الذين لم يستعملوا الفيلة بعد لأن توابيتهم قد تكسرت فى اليوم السابق

وحمل بنو عم القعقاع عشرة عشرة على ابل ألبسوها وهى مجللة مبرقعة وأطافت بهم خيولهم تحميهم وأمر القعقاع ان يحملوها على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة وقد نفرت خيل الفرس منها ولقى هؤلاء من الأبل اكثر مما لقى المسلمون من الفيلة

وفى هذه الموقعة قضى فرسان المسلمين على أمراء جند الفرس بحملاتهم الشديدة وشجاعتهم النادرة ولولا ان خيلهم عادت لأخذ رستم اسيرا وبات الناس تلك الليلة والظفر والانتصار قد لازمهم فى يومهم وهم يشكرون الله على ما أتاهم من فضله

وكان عدد جرحى المسلمين وقتلاهم فى هذا اليوم الفين ومن المشركين عشرة آلاف

اليوم الثالث

وبات القعقاع تلك الليلة يسرب اصحابه الى المكان الذى فارقهم فيه وقال اذا طلعت الشمس فاقبلوا مائة مائة وكان المشركون باتوا يعملون توابيت الفيلة حتى أعادوها وأصبحوا على مواقفهم وجاء الرجالة مع الفيلة حتى لا يقطع وضنها ومع الرجاله فرسان يحمونهم فلم تنفر الخيل منهم لان الفيل وحده أوحش واذا أحاطوا به كان أنس .

وكبر المسلمون وانتشب القتال وكثر القتل والضرب وجاء هاشم فعبى اصحابه سبعين سبعين وحمل حتى خالط القلب وحمل عمرو ابن معدي كرب وضرب فى الفرس حتى ستره الغبار وحمل أصحابه فاخرج المشركون عنه وهكذا دارت رحى الحرب وفرسان العرب تصول وتجول .

وسعد بن أبي وقاص يرسل تعليماته الى القواد وقد رأى الفيل الابيض يفرق خيل المسلمين فارسل الى القعقاع وعاصم بن عمرو اكفيانى الابيض وقال لحمال والزبيل اكفيانى الاجرب فاخذ القعقاع وعاصم رمحين فوضعا رمحيهما فى عين الفيل الابيض فنفض رأسه وطرح سائسه ودلى مشفره فضربه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه وقتلوا من كان عليه وحمل الآخران على الفيل الاجرب فطعناه فى عينه وبضربه سائسه الفيل ضرب الزبيل فى أنفه فأفلت الزبيل جريحا وبقي الفيل

جريحا متحيراً بين الصفين فاذا جاء صف المسلمين وخزوه واذا جاء المشركين نخسوه حتى جاء العتيق فالقى نفسه فيه فاتبعته الفيلة فخرقت صف الاعاجم واختل توازنها وخلص المسلمون

ومال الظل ثم اشتد القتال بين الفريقين وصمدوا حتى جاء الليل

ليلة الفصل والنصر

ما وجده المسلمون من النصر والظفر فى يومهم الثالث بعث فيهم روح الحماس والقوة لمواصلة الجهاد ليلا كما واصلوه نهاراً وما صلوا العشاء حتى أرسل سعد طليحة الاسدى وعمرو بن معدى كرب الى مخافر اسفل المعسكر وكانت تسمى تلك الليلة ليلة الهرير لانهم منعوا الكلام بل كانوا يهرون هريراً وذلك حتى يأتى القوم من أسفل وهو لا يفكر فى مهاجمة العدو ليلا .

ولكن طليحة وعمرو حين أتياها قال طليحة لصاحبه لو خضنا وأتينا العجم من خلفهم قال عمرو بل نعبر اسفل فافترقا وأخذ طليحة وراء العسكر وكبر ثلاث تكبيرات ثم ذهب وقد ارتاع أهل فارس وتعجب المسلمون وطلبه الأعاجم فلم يجدوه وأما عمرو فانه أغار أسفل المخاضة ورجع وخرج جماعة من فرسان المسلمين وطاردوا جماعة من الفرس فاذا هم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف فقدم المسلمون صفوفهم زواحفوهم بغير اذن سعد وكان أول من زاحفهم القعقاع ثم علم سعد بعزمهم

فقال اللهم اغفرها له وانصره فقد اذنت له ان لم يستأذنى .

ثم لحقهم بعد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم ثم حملت النخع وجاءت

بعدها بجيلة ثم كندة ثم زحف الرؤساء فقال سعد لكل منهم اللهم اغفرها له وانصره ثم قال لهم اذا كبرت ثلاثا فاحملوا فكبر فى اثناء تلك الحملة تكبيرتين فلما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضا وخالطوا القوم واستقبلوا الليل استقبالا . وكانت تسمع صليل السيوف فى وسط الليل البهيم وما زالوا كذلك حتى الصباح وبات سعد ليلة لم يغمض له فيها جفن وكذلك المسلمون

أما الاعاجم فقد رأوا ليلا لم يروا مثله قط وانقطعت الاخبار عن سعد ورستم واقبل سعد على الدعاء لجيشه بالنصر : وعند الصباح ظهر الناس فاستدل بذلك سعد على انتصار جيوشه الظافرة

أما القعقاع فنادى القوم الدائرة بعد ساعة والنصر لمن صبر ثم حمل وحمل المسلمون معه على الفرس حملة كانت القاضية والقى رستم بنفسه فى النهر فتبعه هلال وأخذ برجليه ثم خرج به فضربه بالسيف وقتله ثم القاه بين أرجل البغال ثم صعد السرير وقال قتلت رستم ورب الكعبة

وقام الجالينوس ونادى انفرس الى العبور وكانت الهزيمة عليهم وأخذ خوار ابن الخطاب العلم الأكبر الذى كان للفرس

ثم أمر سعد باتباع المنهزمين فطاردوهم الى ان وصلوا النجف وعادوا بعد أن قتل الجالينوس وهم يحملون الغنائم ويسوقون الاسرى امامهم .

نتائج فتح القادسية

وأخبار امير المؤمنين وأوامره

كان المسلمون ينظرون الى المعركة القائمة بين المسلمين والفرس فى القادسية باهتمام زائد ويرتقبون نتائجها وخصوصا الأمم التى أخضعت للدولة الاسلامية فان هؤلاء كانوا يقدرون ثبات الدولة بمقدار ما تحرزه من ظفر وانتصار على دولة الفرس

والأمم التى تطلعت لنتائج حرب القادسية من عذيب شمالا الى عدن جنوبا ومن المدهش ان أنباء الانتصار طارت الى الامصار كأنما نقلتها الرياح بسرعة مبشرة بالفوز المبين

وقد كانت واقعة القادسية التى هزم فيها الفرس وسلموا ملكهم صاغرين الى المسلمين فى سنة اربع عشرة من الهجرة

وعلم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأنباء الفتح وقد أصدر أوامره الى سعد بالاستمرار فى غزو باقى بلاد العراق ثم الفرس

وبعد فتح القادسية بشهرين أرسل سعد جيوشه المظفرة ففتحت باقى العراق ثم توجهت الى مدائن كسرى فاخضعتها واستولت على ايوانه وعادت الجيوش بالغنائم الكثيرة مما لم يذكر فى الحروب لها سابقة

اخلاق الجند وأمانتها

ومما يسجله التاريخ ان نفاسة الغنائم وما كانت عليه من البهاء

والزخرف والقيمة الغالية لم تفتن الجند ولم تغير ما هم عليه من زهد وقناعة وعفة

ومما يروى أن رجلا جاء بحق الى صاحب الافياض فقال هو والذى معه ما رأينا مثل هذا ولا يعد له ما عندنا ولا يقاربه. فقالوا هل أخذت منه شيئا فقال والله لولا الله ما أتيتكم به فقالوا من أنت ؟ فقال والله لا اخبركم فتحمدونى ولكن أحمد الله وأرضى بثوابه فأتبعوه رجلا فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس

وقال سعد والله ان الجيش لذوا أمانة ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت انهم على فضل أهل بدر

وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والله الذى لا اله الا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة فلقد اتهمنا ثلاثة نفر فما رأينا كأمانتهم وهم طليحة وعمرو معدى كرب وقيس بن مكشوح .

وقال عمر رضى الله عنه لما قدم عليه بسيف كسرى ومنطقته وزبرجده ان قوما أدوا هذا لذو أمانة فقال على رضى الله عنه انك عففت فعفت الرعية

ونقول لولا ان سعد ابن أبى وقاص رجل من رجال الله وصنديد من صناديد الصحابة لزلت قدمه امام هذه الكنوز والجوهرات ولتبعه جيشه فى سقطته ولكنه لم يكن الا أمينا صادقا فكان رجال جيشه على نسقه ايضا .

سوارى كسرى وبساطه وتاجه

وأرسل سعد خمس الغنائم لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقسمها ولما جاء دور البساط فى القسمة أخذ عمر رأى أصحابه فى شأنه لانه قطعة واحدة طوله ستون ذراعا وعرضه ستون محلى بالصور والرسوم والاحجار والذهب والفضة فأشار عليه على بن أبى طالب بقسمته بين المسلمين وقال ان تبقه على هذا اليوم لم تعدم فى غد ان يستولى على ما ليس له فقال صدقتنى ونصحتنى فقطعه بينهم فأصاب علياً قطعة منه قال ابن الاثير فباعها بعشرين الف دينار

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك الكنانى فى حين أراد التعرض للنبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ومنطقته وتاجه فلما أتى بذلك كله الى عمر بن الخطاب مع جملة ما أتى به من خمس الغنائم دعا سراقة بن مالك وألبسه اياها وكان سراقة رجلا أزب كثير شعر الساعد وقال له ارفع يديك وقل الله اكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى ابن هرمز الذى كان يقول أنا رب الناس والبسهما سراقة رجلا عربيا من مدلج ورفع عمر صوته ثم قال اركب سراقة وطاف به فى المدينة اظهاراً لمعجزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك قبل وقوعه .

ولم يأخذ عمر رضى الله شيئا من تلك الغنائم التى كان يقسمها بين الناس ويقرأ قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات) الآية

خاتمة فتوح سعد

لما اتم سعد فتوح المدائن واستقر به المقام سير جيشا الى النهروان وآخر الى الموصل وعلى رأسه عياض بن غنم وكان ذلك سنة ١٦ ﻫ وسير جيشا الى حلوان ثم تحول هو الى الكوفة فخططها وأقام بها بعد أن فل جيش الفرس فى القادسية وهدم عرش الدولة القديمة فهوت من عزها الى الهاوية وكل هذا بحزم سعد وقوة ارادته ويقينه وبقى أميراً على الكوفة الى أن اتصل بعمر رضى الله عنه ان فريقا بدأ يحرض الناس على التكلم فيه فأقاله قطعاً للفتنة ولأن جيوش المسلمين كان امامها مسئوليات جسيمة لاتمام فتوح بلاد الفرس وقد طلبه بعد ذلك عمر للامارة على الكوفة فاعتذر وقال كيف اتولى أمر قوم يقولون انى لا أحسن الصلاة على زعم انه كان يطيل الصلاة بهم ولما طعن عمر أوصى الخليفة بعده أن يأمر سعداً

صدقه فى الحديث

ولما بويع عثمان بالخلافة أعاده للامارة الا انه حدث خلاف بينه وبين عبد الله بن مسعود فاعتزل الامارة وأقام بالعقيق قرب المدينة

بعض اخلاقه وتصرفاته

قال عمر بن الخطاب لابنه عبد الله اذا حدثك سعد عن رسول الله فلا تسأل عنه غيره . وقد بلغ به الحرص على صدق الحديث ان كان يضن بالرواية خوف التحريف وقال ابن

عساكر عن السائب بن يزيد قال خرجت مع سعد الى مكة فما سمعته يحدث حديثا عن رسول الله .

وعن عائشة بنت سعد قالت سئل سعد عن شيء فاستعجم فقيل له فى ذلك فقال انى اكره ان احدثكم حديثا فتجعلوه مائة حديث .

موقفه من الفتنة

رأى سعد ان الأمة انقسمت فى امر الخلافة الى احزاب فرى البعد عن الفتنة حتى ينتهى غبارها فاعتزل خارج المدينة وأمر ان لايخبره احد بشيء وروى عبد المطلب عن عمر بن سعد انه جاءه ابنه عامر يدعوه لطلب الخلافة فقال أى بنى أفى الفتنة تأمرنى أن اكون رأسا ؟ لا والله حتى ولو أعطى سيفا ان ضربت به مسلما نبا عنه وان ضربت به كافرا قتله .

وقد خطب على بن ابى طالب حين اشتد الأمر عليه فقال يغبط سعد اوعبد الله ابن عمر على اعتزالهما الفتنة لله منزل نزله سعد وابن عمر لئن كان ذنبا انه لصغير مغفور وإن كان حسنا إنه لعظيم مشكور

وكتب معاوية الى سعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة يستميلهم للقتال معه فاجابوه بالرفض . أما كتاب معاوية اليه فهذه صورته (سلام عليك أما بعد فأن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه . واختاروه على غيره ونصره طلحة والزبير وهما شريكان فى الأمر ونظيران فى الاسلام . وخفت

لذلك أم المؤمنين فلا تكره مارضوا ولاترد ماقبلوا وانمــــا نريد ان تردها الى شورى بين المسلمين والسلام . فأجاب :

(اما بعد فأن عمر لم يدخل فى الشورى الا من تحل له الخلافة فـــلم يكن أحد أولى بها من صاحبه الا باجتماعنا عليه غير ان عليا كان فيه مافينا ولم يكن فينا مافيه ولو لم يطلبها ولزم بيته لطلبته العرب ولو باقصى اليمن وهذا الأمر قد كرهنــــا أوله وكرهنا آخره واما طلحة والزبير فـــلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما والله يغفر لأم المؤمنين ماأتت والسلام)

فى عهد معاوية

لمـا دخل على معاوية بعد استقرار الأمر له قال له السلام عليك أيها الملك .. فضحك معــــاوية وقال ما كان عليك ياأبا اسحق لو قلت ياأمير المؤمنين .. فقـال اتقولها جذلان ضاحكا والله ماأحب انى وليتها بمـا وليتها به . يشير بذلك انه وليها بالسيف فصـــــارت ملـكا وقال له أيها الملك استخفافا بشأن الملك وتعظيما للخلافة التى كانـ اساسها الشورى .

وفاته

توفى رضى الله عنــــه وكان ابن ثلاث وثمـانين سنة وهو آخر العشرة الكرام موتا ولمـا حضرته الوفاة دعا بخلق جبة له من صوف فقال كفنونى فيها لأنى لقيت المشركين فيها يوم بدر وهى على وانما كنت أخبئها لهذا اليوم .

ولما مات رضى الله عنه حمـــل على الأعناق حتى أتى المسجد فوضع عنـد بيوت النبى صلى الله عليه وسلم بفناء الحجر فصلى عليه مروان بن الحكم وكان واليــا على المدينة وذلك سنة خمس وخمسين

وترك سعــد ثروة حسنة لأنه كان غنيا .قيل انه ترك مائتين وخمسين الف درهم وعن ابنته عائشة انه ارسل مدة الى مروان ابن الحكم بزكاة عين ماله خمسة الاف درهم

كلمة اخيرة

لم نسجل ما كان من المفاوضات والاحاديث بين رجال سعد وملك الفرس يزدجرد وقائده رستم الا لننشر على العالم من جديد تلك التعاليم الخالدة والمبادىء السامية التى جاء بها محمد بن عبد الله فلم تكن الدعوة الاسلامية لدنيا يصيبها المسلمون وانما لخير الانسانية وانقاذ الأمم من عبادة الاشخاص الى عبادة الله ووصفا دقيقا لما كان عليها قادة المسلمين ورجالهم من علو النفس والجـــرأة فى الحق وقوة اليقين

وان فى صراحة رجال سعد خير مثل لمن شاء أدراك سر انتشار الاسلام وفى مراجعة مطولات كتب التاريخ كالطبرى وابن الأثير والسيرة الحلبية وفتوح البلدان ما فيه متسع لمريد الزيادة وكذلك لم نتوسع فى وصف بعض الفتوح التى تمت فى عهده الا لنعطى صورة للقارى عن حالة الحروب وتعبئة الجيوش فى الصدر الأول من الاسلام

المثنى بن حارثة

المثنى بن حارثة بطل جليل أسلم وحسن اسلامه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه الذى أسلم ثم دبت فيه روح الحمية الاسلامية والجهاد وهو بن ضمضم الشيبانى بن بكر بن وائل بقى على الاسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتابع قومه على الردة .

وقد جاء ابا بكر الصديق خليفة رسول الله وحرك فى نفسه فتح العراق وقد سبقت الى الخليفة انباء اغارته على سواد العراق فسأل عنه فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقرى هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد هذا المثنى بن حارثة الشيبانى

وحين قدم المثنى على ابى بكر رغب اليه ان يستعمله على من أسلم من قومه ليغزوا بهم اطراف فارس وسهل لديه امرهم ورغبه بغزوهم فكتب له ابو بكر فى ذلك عهدا وسار الى بلاده .

فروح القوة والشجاعة والاقدام وحب نشر الدين وتعاليمه فى المثنى حفزه الى ان يتقدم الى ابى بكر رضى الله عنه برغبته وقد راى ابو بكر بثاقب نظره ان المثنى وحده مع شجاعته واقدامه وغيرته لا يقوم بهذه المهمة وحده ولذلك استدعى خالد بن الوليد من اليمامة فى محرم سنة ١٢ من الهجرة وأمره بالمسير الى العراق وان يبدأه من اسفله وكتب الى عياض بن غنم الفاتح الشهير ان يأتى العراق من أعلاه .

فسار خالد الى العراق ومعه عشرة آلاف مقاتل واستقبله المثنى ابن حارثة بثمانية آلاف وقد أمدهما أبو بكر بالقعقاع بن عمرو بطل المسلمين المغوار فقيل له أتمده برجل واحد ؟ فقال لا يهزم جيش فيهم مثل هذا .

وقد لازم المثنى خالداً التوفيق فى الحروب حتى ان خالداً بعد وقعة الفراض وانصرافه الى الشام استخلف المثنى بن حارثة على جند العراق فأقام فى الحيرة يرتب المقاتلة ويذكى العيون

وقد علم المثنى ان ملك الفرس شهريران بن ازدشير جهز جيشاً لمحاربة المسلمين ظنا منه ان غياب خالد يوهن قوتهم ويمكن له الفرصة

وقد تولى قيادة جيش الفرس هرمز فلاقاه المثنى فى بابل شرقى العراق والتحمت هناك الحرب بين الفريقين وكانت شديدة وانجلت عن هزيمة الفرس ثم مات ملكهم بعد شهرين فاختل الأمن فى دولة فارس وقامت الخلافات الحزبية فيمن يتولى الملك فيها وهكذا أراد ربك ان يهلك دولة الفرس بعد أن بلغت منتهى درجات النعيم والترف (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) -

وقعة الجسر وما بعدها

— ابدى المثنى بن الحارثة فى وقعة الجسر بسالة فائقة حين أوشك الفرس أن يقطعوا على جيش ابى عبيد الثقفى الرجعة بعد وفاته وقتل الذين تولوا القيادة بعده حتى جاء دور المثنى فحمل اللواء وجاهد الفرس جهاداً عنيفا حتى مكن لبقية جيش أبى عبيد من عبور الجسر والنجاة .

ومما يذكره التاريخ فى هذه الواقعة الأليمة أن جنود الفرس حاولت العبور الى الضفة الثانية ولكن عناية الله بالمثنى ومن بقى معه من الجند القليل جاء الفرس ما شغلهم عن العبور اذ وصلهم الخبر أن الناس بالمدائن قد ثاروا برستم وانقسموا قسمين قسم معه وقسم مع الفيرزان فمكن المثنى ذلك من جمع القبائل التى حوله وأمده عمر بجرير ابن عبد الله البجلى وعصمة بن عبد الله ومع كل قائد منهما عدد كبير من شجعان العرب

كما أمر أمير المؤمنين غالب بن عبد الله على بنى كنانة وعرفجه بن هزعه على الازد فخرج هذا فى قومه وهذا فى قومه حتى قدما المثنى .

وكان الفرس لما أحسوا باجتماع العرب وبكثرة من جاء من النجدة للمثنى بن حارثة جمعوا كلمتهم وجاء الفيرزان ورستم الى بوران واستأذناها فى ارسال مهران بجنده لقتال المسلمين .

وقعة البويب

وجاء مهران بجيش الفرس قبيل الفرات ونزل المثنى وجنده فى محل يدعى البويب على شاطىء الفرات الآخر وكانت الامداد اليه متواصلة وقد انضم الى جند المسلمين أناس من نصارى النمر ونصارى تغلب بدافع الاتحاد فى القومية العربية

وأرسل مهران الى المثنى اما ان تعبروا الينا واما أن نعبر اليكم فقال المسلمون اعبروا الينا فعبروا اليهم وجاءوهم من قبل نهر بنى سليم فى صفوف ثلاثة ولهم ضوضاء وزجل

فقال المثنى للمسلمين ان الذى تسمعون فشل فالزموا الصمت ثم تقدم اليهم المثنى وعلى مجنبتيه بشير وبسر بن ابى دهم وعلى مجردته المعنى وعلى الساقة مسعود بن حارثة وعلى الطلائع النسير وعلى الردء مذعور

ثم أخذ المثنى يتعهد الصفوف ويحضضهم ويأمرهم بأمره ويهزهم بأحسن ما فيهم من صفات الرجولة والشهامة ويقول انى لأرجو أن لا تؤتى العرب اليوم من قبلكم والله لا يسرنى لنفسى شىء الآ وهو يسرنى لعامتكم فيجيبونه بمثل ذلك .

فكان حديثه للرجال يثير فيهم الحماس ويزيدهم تعلقا به خصوصا ماكان يتصف به من علو المنزلة والشرف والشجاعة حتى ان المسلمين كانوا يحبونه ويعجبون بقيادته كما يعجبون بقيادة خالد بن الوليد

ثم انه كبر وكبر المسلمون وكان واعدهم بالهجوم عند رابع تكبيرة فعاجلهم الفرس من الأولى وخالطوهم والتحم القتال وجعل المثنى كلما رأى خللا فى صف من صفوفه يرسل لأهل الصف من يقول ان الأمير يقرئكم السلام ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم.

ولما طال القتال واشتد حمل المثنى وحمل معه انس بن هلال ومردى الفهر وقصد المثنى مهران قائد الفرس فأزاله حتى دخل فى ميمنته واضطربت صفوف الاعاجم ولقى غلام نصرانى مهران فقتله ثم استولى على فرسه فانهزم الفرس وحاولوا الفرار ولكن المثنى بادرهم الى الجسر فمنع مرورهم وأخذت السيوف رقابهم من كل جانب .

وقد أظهر هذا القائد من البسالة والشجاعة فى هذه الموقعة التى ألحقت بالفرس هزيمة منكرة ما يعد مثلا أعلا فى شجاعة القواد وحسن السياسة والاقدام فى الحرب

وكان أشد الناس بلاءاً فى هذه الحرب الذين حضروا موقعة الجسر مع أبى عبيد لاستحيائهم من الفرار

ولما انهزم الفرس فى البويب انتدب المثنى جرير بن عبد الله البجلى لعبور الفرات وليتابع الفارين وكذلك فعل وعاد ومن معه بغنائم كثيرة .

شجاعة النساء المسلمات

لا يمكن للتاريخ ان يهمل نصيب النساء المسلمات من الجهاد فى الحروب ومناصرة الرجال فقد تقدم الجيش الى البويب وخلف وراءه النساء المسلمات على أهبة الاستعداد للنضال والكفاح سواء بالحرب أو بمواساة الجرحى وتضميد مايصيبهم من طعنات كما هى العادة فى سائر الحروب الأسلامية

ولولا ثقة الجيش بشجاعة نسائه وامكان دفعهن العدو المفاجىء لما تركوا فى الفلاة بلا حاميه .

وقد اطنب ادورد جيبون فى تاريخ الامبراطورية الشرقية بشجاعة النساء المسلمات التى اظهرتها فى حصار دمشق ومما قاله عنهن (ان هؤلاء النساء اللاتى تعودن الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمى بالنبل هن اللاتى اذا وقعن فى الأسر تكن قادرة على حفظ عفتها ودينها من أى انسان يريدها بسوء

استمرار الفتح

لما فرغ المثنى من أمر البويب وتشتت جنود الفرس فرق جنوده فى السواد واخذ يستخضع البلاد التى عصت من قبل وكانت له وقائع كثيرة مع الفرس ظفر بها المسلمون بما غنموا من متاع ومال وبلغت غاراتهم شرقا الى قرب مدائن فارس وشمالا الى الجزيرة فاوقعوا الرعب فى قلوب الاعداء .

وقد ازعج الفرس المثنى بحملاته وغزوات رجاله فبحث القوم عن رجل من آل كسرى يولونه الملك وقد اجمعوا رأيهم على يزدجرد وهو ابن احدى وعشرين سنة وقد اطاعه الرؤساء تفاديا من الخطر الذى احاق بالدولة

المثنى ويبعد

ولما علم المثنى باجتماع الفرس واستعدادهم لقتال المسلمين ارسل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بذلك وقد جاءه كتاب عمر وفيه :

(أما بعد فاخرجوا من بين ظهرى الاعاجم وتفرقوا فى المياه التى تليهم على احدود ارضكم ولا تدعوا فى ربيعة احدا ولا مضر ولا خلفائهم احدا من اهل النجدات ولا فارسا الا جلبتموه فأن جاء طائعا والا حشرتموه . احملوا العرب على الجد اذا جد العجم فلتلقوا جدكم بجدهم) .

وقد فهم المثنى مايريده أمير المؤمنين فأحسن الرأى والتدبير ونزل بذى وقار وفرق الجند على خط واحد فكان فى افواه العراق

من أولها الى آخرها مسالح بعضها آخذ برقاب بعض حتى يمكن ان يغيث بعضه بعضا وهكذا كان بعيد النظر مدركا وسائل الدفاع والهجوم معتزا بقوته وايمانه

وقد رأى عمر بن الخطاب بثاقب رأيه وبعد نظره ان يسير أميرا جديدا للجيش الاسلامى للتعاون مع المثنى بن حارثة وقد استقر رأى أهل الشورى على مسير سعد بن ابى وقاص لهذه المهمة الخطيرة

وقد كان المثنى رضى الله عنه يقاتل الفرس ويخضع الخارجين من اهـــل العـراق ويسعى لتثبيت دعائم الاسلام حتى وافى سعد العراق

وفاته

ولم يمهل القدر المثنى ليلاقى سعدا بل اخترمته المنية قبل ان يراه ويحقق أمله فى تدويخ بلاد الفرس وقد مات رضى الله عنه متأثرا من جراح اصابته فى غزوة الجسر والتى لم تمنعه بعدها من مواصلة الجهاد والتعرض لأخطار الطعن والضرب ولم يفته رحمه الله ان يرسل وصيته القيمة لسعد بن ابى وقاص عن خطة السير فى الحرب

وقد كان رحمه الله على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام والنظر البعيد فى شئون الحرب لايدانيه فيه الا خالد ابن الوليد

مات هذا البطـــل وقد خسر المسلمون بوفاته شهما مقداما وقائدا عظيما

كلمة عن القيادة والقواد

يتجلى فيما أوردناه من تراجم بعض مشاهير قواد الخلفاء الراشدين ما كانوا عليه من حزم وقوة بصيرة وجرأة واقدام وحسن سياسة . ولو اننا أردنا أن نذكر تاريخ الوقائع والحروب تفصيلا و بسطنا ما تم فتحه على أيديهم لاحتاج كل بطل منهم الى كتاب مستقل ولكننا ألمعنا الى هذا اجمالا لتشوق المطالعين الى تاريخهم الحافل المجيد

وكم يعوز المسلمين ان يتدارسوا تاريخ هؤلاء العظماء وليرددوا فى مجالسهم وأحاديثهم وكتاباتهم ما كان على أيديهم من الفتح المبين كما عليهم أنلا يهملوا استقراء تاريخ القواد الذين جاء ذكرهم عرضا فى الفتوحات الاسلامية كأبى العلاء الحضرمى الذى غزا الفرس بحرا وعياض بن غنم الفهرى فاتح الجزيرة وعبد الله بن عامر وحبيب بن مسلمة الفهرى والنعمان بن مقرن وغيرهم [illegible] سطروا بشجاعتهم وبسالتهم صفحات المجد فى التاريخ الاسلامى

وأدع لحضرة صاحب السماحة العلامة الجليل السيد عبد الله السقاف العلوى والزعيم الحضرمى الكبير نزيل مصر ليسطر بقلمه الملهم وأسلوبه الفصيح خاتمة الكتاب

الخلفاء الراشدون

وأشهر قوادهم فى الحرب والسياسة

ظهر الاسلام فى زمن سادته الفوضى الدينية والاجتماعية والسياسية وما كانت أيام الجاهلية والأكاسرة والقياصرة وغيرهم من بقية الامم والشعوب بمجهولة فى مظاهرها المحزنة كلها وما كان الاسلام سوى نور مبين للحياة البشرية على عمومها كما كان أضواء ساطعة لاصلاح المجتمع العام دينا واجتماعا وسياسة

وهل من غرض للاسلام سوى أن يكون الوجود العام للحياة البشرية سعيدا مرفها ويكون النظام الاجتماعى على أتم صورة وأكمل سيرة

واذا كان الله عز وجل قد أرسل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام بالهدى ودين الحق ورحمة للعالمين كما نص القرآن الحكيم لاصلاح ما فسد من دين واجتماع وسياسة فقد كان هذا النبى الكريم أعظم مصلح دينى واجتماعى وسياسى عرفه التاريخ البشرى من غير ما شك أو حاجة الى تبيان أو برهان كما ليس بنا داع الى استعراضه فى صوره سواء الدينية أو الاجتماعية أو السياسية لشروقها سافرة كالشمس فى رابعة النهار ووضوحها فى الأسفار متلألئة الانوار

واذا كان هناك عجب فمن الذين لا يفهمون الرسول المعظم فى مقدمة السياسيين المحنكين المصلحين واذا لم يكن تكوين الدولة الاسلامية وما تناولها من شئون الاصلاح والتدعيم والقيادات والغزوات والحروب والمعاهدات والدبلوماسيات الى طائفة العيون

والارصاد بمثابة الاقلام الاستخبارية السياسية من النوع السياسى الاصلاحى فمن أى الانواع تكون يا ترى

واذا خلصنا من هذا فمن المعلوم أن خلفاءه الراشدين سادتنا أبا بكر وعمر وعثمان وعليا عليهم الرضوان على ما فيهم من دينيات وعزوف عن الدنيا كصورة من صاحب الرسالة عليه السلام فقد اختطوا خطته فى شأن الدولة الاسلامية وتوطيد دعائمها كرسالة مرتبطة بالدعوة الاسلامية فى المعمورة كلها كما كانوا المثل العلياء للزعامة الكبرى والقيادة العامة فى سيرتهم الخصوصية وحياتهم السياسية

والغرابة ان الدهاء السياسى الذى ظهروا به كان فى غاية العجب حيث وضح من قوم بعيدين عن المدنية والحضارة فما بالك بالخبرة السياسية وهم لم يعيشوا فى غير أوساط جاهلية لا تدرى من شئون الاجتماع والسياسة سوى ما يكتنفها فى محيطها حتى اذا أصارهم الله الى ما صاروا اليه فاذا هم فى طليعة دهاة العالم خبرة وسياسة وتدبيراً وقيادة .

ومما يدلك على بعد نظرهم السياسى اختيارهم لقيادة الجيوش والمشاركة فى الرأى السياسى والحربى أمثال سعد بن أبى وقاص وخالد ابن الوليد وأبى عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وأبى عبيد بن مسعود كما ظهرت مهارتهم السياسية ومقدرتهم الحربية فى حروب أهل الردة وفتوح العراق والشام وفلسطين والديار المصرية .

واذا كان سيدنا على بن أبى طالب قد أصيب فى اختياره أبا موسى الأشعرى فى واقعة التحكيم المشهورة فانه لم يكن مختاراً فى اختياره

وانما رضيه مضطراً نزولا على ارادة زعماء اتباعه المخدوعين وهم القراء الناسكون بعد إباء منه واصرار منهم حتى كان ماكان مما لا حاجة الى ذكره كذكريات مؤلمة

على ان الخلافة الاموية والخلافة العباسية والخلافة العثمانية وما تخللها من دولات وحكومات وما تلاها من ممالك وسلطنات سوى غصون من دوحاتها وثمرات من مغروساتها مع العلم بان الدولة الاسلامية الكبرى لو لم توهنها الفتن كما وعد بها المصطفى عليه السلام واستدامت على ما كانت عليه فى ايام الراشدين زعامة وقيادة ونزاهة وعدلا وقوة لكانت المعمورة من اقصاها الى اقصاها فى جهاتها الاربع تدين بالاسلام أو خاضعة لاعلامه الخافقة ولكن لاراد لما قضى الله فلله الامر من قبل ومن بعد

واذا كنا لانطمع فى عودة عهد الراشدين الى سابقه فى كافة مظاهره فلنا طمع فى نهضة الاسلام والرجوع به الى مجده الغابر ولا شك أن دراسة الخلفاء الراشدين وقوادهم فى الحرب والسياسة انما تعني القادة والزعماء من الملوك والولاة والرؤساء قبل غيرهم من سائر الناس كما تطلب منهم مراكزهم ووظائفهم ان يكونوا على سنتهم فى شؤنهم كلها حتى يكونوا من مفاخر الاسلام كما كان أولئك الابرار

واذا كان الحديث عن الخلفاء الراشدين له اتساعه وطلاوته فيغنينا ماعرضنا كصور من الصور الاسلامية الكبرى

* * *

ثم ماذا نريد أن نتحدث به وصديقنا العلامة الكبير والفيلسوف الخطير والصحافى القدير الاستاذ زكريا احمد رشدى لم يدع قولا

لقائل عنهم فى كتابه العبقرى (الخلفاء الراشدون وقوادهم فى الحرب والسياسة) ذلك المؤلف الذى كان كمرآة صافية فيها كافة مرئياتهم منظورة بوضوح تام عـــدى الاجادة فيما توخاه من مستطرق ومعروض ومن يعرفه فانه يدريه موهوبا فى كافة نواحيـه ولتربيتـه الدينية والصوفية أثرهــــا فى نفسياته ومتجهاته كماله نشاطه فى الحياة العلمية والحياة الاجتماعيـة والحيـاة السياسية وما مؤلفاته فى عـديد العـلوم الى التربية الوطنية والفلسفة والتصوف سـوى ظاهرات من متدفقاته ودع الصحافة جانبا فانه قطعة منها كمعجون فى معاجنها منـذ مبكر عمره ولك أن تعجب أشد العجب الى أن لاتتصور ان روحه الوثابة تظهره مؤلفا منذ أيام الدراسة بمدرسة العروة الوثقى حتى اذا بلغ السنة السادسة عشر من ميلاده (١) كانت له جريدته الخاصة

---

(١) فقد كان ميلاده بالاسكندرية فى ٢٤ جمادى الثانية عام ١٣١٢هـ ٢٣ دسمبر عام ١٨٩٤ من الميلاد وبها نشأ يحى راغب باشا فى كنف والدته حتى اذا تأهل للحياة العملية التحق بمدرسة العروة الوثقى وبها تخرجه العلمى الناضج بسرعة غريبة ولم يفته بعد ان ترك المدرســة ان يتلقى الفلسفة على العلامــة الشيخ طنطاوى جوهــرى الشهير وخــذ ماظاهرات نبوغه انوزارة المعارف أسندت اليه نظارة احدى مدارسها فكان مديرا ماهرا وناظرا حازما غير أن ميوله جنحت به الى الحيـاة المستقلة فاستقال من خدمة الدولة للخدمة العامة من جهة العلم والصحافة وكان مبتدأ ظهور جريدته (الرشديات) عام ١٩١٢ ميلادية كما لم تزل حية الى اليوم . واذا كان قـد حدث لها شىء فانما حدث تغيير اسمها الى جريدة (الدفاع الاسكندرى) منذ عام ١٩٣٤ . وهل ندع الحديث دون الايماء الى انه اليوم رئيس جـاعة الدفاع عن مصالح اهـالى الاسكندرية كما نسال الله ان يمتعه بعمر مديد نفعا للعباد والبلاد

(الرشديات) ينفث فيها علومه وافكاره وروحه بصفة متلاحقة خشية من مداهمة المنية له قبل تأديته رسالته كما كان واضحا فى طريقته واسلوبه ونزعاته وميوله وطابعه الخاص

وهاك من حرصه على نشر رسالته بصفة مستعجلة امتلاكه مطبعة كى لا تعوق سيره عوائق الطابعين والناشرين وعلى ما فيه من روح دينية وحياة صوفية كما تلقاها عن الاستاذ الشيخ يوسف الشاذلى شيخ الطريقة الشاذلية بالاسكندرية فان التدين والتصوف لم يقعدا به عن الاندماج فى تلاطم الحركة الوطنية عام ١٩١٩ ميلادية كذى أثر فعال فى صاحبها

على اننا لما نعلم أن الاستاذ زكريا تنكمش صفاته التواضعية خجلا عند الاشادة بذكره فيكفينا أن نقف على ضفاف أخلاقه الكريمة كمعجبين بشخصيته وديانته وعلومه ومواهبه

مصيف الاسكندرية عبد الله السقاف

صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين وغيره



فهرست الكتاب



بعض كتب المؤلف

علم الاجتماع

بحث علمى فى ماهية علم الاجتماع وتاريخ الانسان الطبيعى والمذاهب المختلفة فى نشأة الانسان وبحوث فى علاقة عـــلم الاجتماع بالتاريخ الطبيعى ثم الاسرة والزواج والتربية الاستقلالية ونشأة الحكومات ووظيفتها والأوهام والمبالغات حول قوتها . وعمارة البلدان فى الدولة العربية وغير ذلك من شئون الاجتماع وسياسة الأمم

طبع سنة ٩٢٠

مبادىء الفلسفة

سفر قيم فيما ينبغى أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ويشمل بحث تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى الآن وطبقات المدركين وميزة الفلاسفة عن معاصريهم ثم بحث عن المادة ووجود الله ومذهب درون وطالب الفلسفة وأداة الفيلسوف والقياس بأنواعه وغير ذلك من المباحث القيمة التى لا غنى عنها لطالب الفلسفة . وذيل الكتاب بطائفة من التعريفات كالمادة والهيولى والصورة والموضوع وغيرها

طبع سنة ٩١٩

محـــاضرات

فى الدين والفلسفة والاجتماع

مجموعه محاضرات قيمة ألقاها المؤلف فى وجود الله على طريقة ابى نصر الفارابى وتقسيم العلوم عند العرب والأفرنج والأخلاق وغير ذلك الكتاب ٢٤٠ صحيفة تحت الطبع


Bibliotheca Alexandrina
04900809